



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

ملاحح التداولية في كتاب منهاج البلغاء للقرطاجني-نماذج مختارة-

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي
الشعبة: دراسات لغوية
التخصص: لسانيات تطبيقية

إشراف الأستاذ:
د/ سوداني عبد الحق

إعداد الطالبة:
محفوظي رانية

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
فريدة لعبيدي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
سوداني عبد الحق	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
سحالية عبد الحكيم	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا

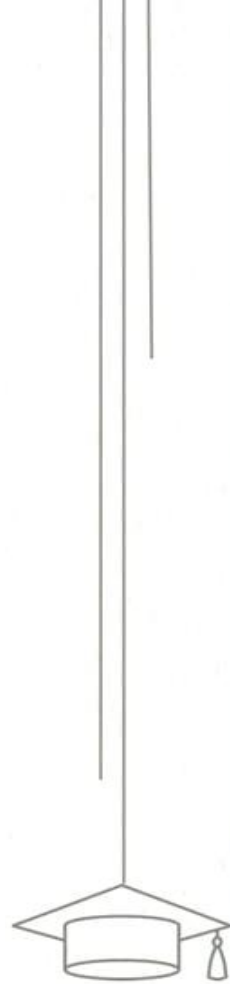
السنة الجامعية: 2023-2024

إهداء

www.arbfonts.com

الحمد والشكر لله، تعالى
اسمه وتبارك رزقه ودامت
نعمه، هو الميسر الذي بسط
لي عونه، فاستقر هذا
البحث على شكل أبتغي فيه
رضوانه. أما بعد :
اهدي هذا العمل
المتواضع إلى من وضعني في
الأمم ورباني وعلمني
الصواب
إلى والدي العزيز...
إلى من علمتني الصعود
والأمل أعظم وأحن إنسانة
في الوجود.
إلى أمي الحبيبة أطال
الله في عمرها
شكرا أمي....
إلى إخوتي وكل عائلتي

رانية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

مقدمة

مقدمة:

تُعد التداولية أحدث معرفة لسانية في الدراسات الغربية المعاصرة، وتُعنى التداولية بدراسة الاستخدام اللغوي والضوابط التي تحكمه، وجاءت هذه الدراسة لتكشف عن مظاهر العجز والإخفاق الواردة في المقاربات التي سبقتها والتي أهملت الأسس والمبادئ التداولية المفسرة لمقاصد المتكلمين، واستبعدت معطيات السياق الخارجي من الدراسة اللسانية، فكانت مهمة التداولية إعادة الاعتبار للسياق وعناصره التخاطبية، وذلك باستحضار الشروط التي تجعل المنطوقات الكلامية مقبولة من لدن المتلقي وناجحة إنجازيا.

وإن المنتبِع والمنقِب في تراثنا العربي بجميع أجزائه يجد فيه، ملامح لهذا العلم الجديد، حتى إنَّ هناك من يؤكد على أن العرب هم السابقون لهذا العلم وأن الباحثين الغربيين أخذوه من مؤلفات القدامى وطوروه وجددوا مصطلحاته ونظروا له، ولأجل هذا اخترنا أن يكون موضوع بحثنا حول إرهاصات التداولية في التراث العربي وبالتحديد في التراث البلاغي، محاولين الكشف عن ملامح هذا الفرع اللساني الجديد في طيات تراثنا اللغوي، فجاءت دراستنا هذه موسومة بـ: "ملامح التداولية في منهاج البلاغاء للقرطاجني نماذج مختارة" وهدفنا من هذه الدراسة ليس التعرض السردى لهذه النظرية، كون الكتب اليوم قد استفاضت بالحديث حولها، وإنما هدفنا الأول هو إبراز الجذور التراثية العربية لهذه النظرية في كتاب القرطاجني ومقارنتها بجهود المعاصرين. وقد انطلقنا من إشكالية مفادها:

ما ملامح التداولية في كتاب منهاج البلاغاء للقرطاجني؟
و تتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية كالتالي:

ما مفهوم التداولية وكيف نشأت ومن هم أبرز روادها؟
ما هي أهم مبادئ التداولية عند حازم؟
ما هي أهم مفاهيم التداولية عند حازم؟
متى بدأ الاهتمام بها من قبل الباحثين العرب المحدثين وكيف دخلت إلى الوطن العربي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا بحثنا إلى الخطة التالية:
الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية
وجاء مقسما إلى مبحثين الأول بعنوان "مفهوم التداولية" وتعرفنا فيه على تعريف التداولية لغة واصطلاحاً، وتاريخ نشأتها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى.

مقدمة

والثاني بعنوان مفاهيم التداولية وتعرفنا فيه على القصدية والسياق، ونظرية أفعال الكلام ونظرية الاستلزام الحوارية،
أما الفصل الثاني: ملامح التداولية في المنهاج
وقد خصص للدراسة التطبيقية وقد جاء مقسما إلى أربعة مباحث، حاولنا فيه استخراج ملامح التداولية في المنهاج.
وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي لكونه المناسب لطبيعة الدراسة العلمية مرفقا بآلية التحليل، والذي ساعدنا على استقصاء الحقائق ووصفها وتحليلها.
ومن بين الدراسات السابقة لهذا الموضوع نذكر :
1- ملامح التداولية في كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (حياة مكي)
2- من ملامح التداولية في كتب أصول الفقه للمصطفى للغزالي أنموذجا (طارق أبو الطاهر محمود أبو زيد).
3- نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية (حليلة صدوق شريف).

وكأي بحث من البحوث واجهتنا العديد من الصعوبات والعراقيل نذكر منها:
ضيقة الوقت

صعوبة أسلوب القرطاجني وغموض بعض ألفاظه.

صعوبة الدرس التداولي وتشعبه وامتزاجه مع مختلف العلوم لاسيما الفلسفة.

ولكن كل تلك الصعوبات لم يقف عائقا أمام عزيمتنا في إتمام هذا العمل ، وذلك بفضل الله أولا وبفضل أستاذنا المشرف الذي ساعدنا كثيرا لإتمام هذا العمل وإخراجه بصورة لائقة للإفادة والاستفادة،
فالحمد لله حمدا كثيرا.

الفصل الأول : النظرية اللسانية التداولية

المبحث الأول : التداولية (المفهوم والنشأة)

1- مفهوم التداولية :

2- نشأة التداولية:

3- علاقة التداولية بالحقول المعرفية الأخرى:

المبحث الثاني : مفاهيم التداولية

1- القصدية :

2- السياق :

3- الأفعال الكلامية:

4- الاستلزام الحوارى:

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية

المبحث الاول : التداولية (المفهوم والنشأة)

1- مفهوم التداولية :

التداولية أو التداوليات أو البراغماتية أو البرجماتية أو الوظيفية أو السياقية ... دوال متواترة في اللغة العربية في مقابل "الكلمة اليونانية pragmatic بيد أن مصطلح التداولية يظل الأكثر استعمالاً وشيوعاً بين الباحثين"¹.

وهو مصطلح مركب من "وحدتين إحداهما معجمية "تداول" والأخرى صرفية "ية" دالة على مصدر صناعي"²

ألغة :

أولاً: في المعاجم العربية

التداولية في اللغة مشتقة من مادة (د و ل) "والدُّوْلَةُ اسْمُ الشَّيْءِ الَّذِي يُتَدَاوَلُ، والدُّوْلَةُ الْفِعْلُ وَالِانْتِقَالُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَتَدَاوَلْنَا الْأَمْرَ : أَخَذْنَاهُ بِالذُّوْلِ . وَقَالُوا : دَوَّالِيكَ أَيُّ مُدَاوَلَةً عَلَى الْأَمْرِ، وَدَالَتِ الْأَيَّامُ أَيُّ دَارَتْ ، وَتَدَاوَلَتْهُ الْأَيْدِي : أَخَذَتْهُ هَذِهِ مَرَّةً وَهَذِهِ مَرَّةً"³ وجاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي: "دَالَ يَدُولُ دَوًّا وَدَالَةً: صَارَ شَهْرَةً، وَتَدَاوَلُوهُ: أَخَذُوهُ بِالذُّوْلِ، وَدَوَّالِيكَ، أَيُّ: مُدَاوَلَةً عَلَى الْأَمْرِ، أَوْ تَدَاوَلًا بَعْدَ تَدَاوُلٍ، وَالِإِدَالَةُ: الْغَلْبَةُ وَدَالَتِ الْأَيَّامُ: دَارَتْ وَاللَّهُ تَعَالَى يُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"⁴.

يتضح لنا مما سبق أنّ التداولية في اللغة تعني الانتقال من حالٍ إلى حالٍ، أي انتقال الكلام من متكلم إلى سامع في دورة تخاطبية، قصد تحقيق التواصل.
ثانياً: في المعاجم الأجنبية:

التداولية هي ترجمة للمصطلح اليوناني "pragmaticus" المشتق من كلمة "Pragma" وتعني الحركة أو الفعل "Action"⁵

وقد عرفها « ديوى » في قاموس القرن « Centruy Dictionary » على أنها: "pragmatic" النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنّما تتحدد في حدود

1- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016، ص13.

2- جواد ختام، المرجع نفسه، ص13.

3- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، مادة(د و ل)، مجلد 5، ص328.

4- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تر وتح: انس محمد الشامي و زكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة ، مصر، مادة(د و ل)، ج3، ص378.

5- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص13.

الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية

الاعتبارات العملية، أو الغرضية، فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتجدد في حدود الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة أو الاعتبارات الفكرية المجردة¹ وجاء في موسوعة كمبريدج "pragmatics" "هي دراسة العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص للغة، ثم ينتقل تأثير هذا الاختيار في الآخرين عن طريق التواصل والتفاعل حسب المرسل وحسب رغبة المتلقي"².

ب-اصطلاحاً:

1-في الدراسات الغربية :

تعد التداولية "فرع من فروع اللسانيات الغربية الحديثة الذي يختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) ويفسره المستمع (أو القارئ)؛ لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة. التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم"³. وقد تعدد تعريفات هذا الفرع المعرفي واختلفت بتعدد الباحثين واختلاف توجهاتهم ومشاربهم وتشعب قضاياها البحثية. وإن أقدم تعريف للتداولية نجده عند شارل موريس 1998، وهو تعريف واسع يجعل من التداولية جزءاً من السيميائيات، وتهتم بمعالجة العلاقة بين العلامات ومستعملها حيث عرفها على أنها: "دراسة علاقة العلامات بمستعملها؛ أي دراسة اللغة أثناء ممارسة إحدى الوظائف الإنجازية والحوارية والتواصلية. وقد عدها جزءاً من السيميائية (semiotics)"⁴. وق ربط موريس هنا التداولية بالسيميائية واعتبرها جزءاً منها. ويعرفها (فرانسوا ريكانتي) بأنها "جزء من دراسة استعمال اللغة في الخطاب، والآثار الخاصة في اللغة والتي تشهد على مقدرتها الخطابية"⁵. فالتداولية إذن تبحث في استعمال اللغة أثناء إنتاج الخطاب أي أثناء الاستعمال.

2-في الدراسات العربية:

يعرفها الدكتور طه عبد الرحمن بقوله: "فالتداول، عندنا، متى تعلق بالممارسة التراثية هو وصف لكل ما كان مظهراً من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أن المجال، في سياق هذه الممارسة، هو وصف لكل ما كان نطاقاً مكانياً و زمانياً لحصول التواصل والتفاعل"⁶.

1- محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1984، ص41.

2- يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل دراسة أوستن، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة الجزائر، العدد10، 2014، ص99.

3- جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010، ص19.

4- عكاشة محمود، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص30.

5- علي أيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص55.

6- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1993، ص244.

الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية

ويعرفها مسعود صحراوي بقول: "التداولية مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمله وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها "الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية واضحة" وناجحة"، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية ... الخ"¹

فالتداولية إذن فرع من فروع اللسانيات وهي العلم الذي يدرس استعمال اللغة في الطبقات المقامية المختلفة، وفي سياقاتها المختلفة، وبعبارة أوضح هو علم استعمال اللغة.

2-نشأة التداولية:

2-1-التداولية في الدراسات الغربية :

إنَّ التداولية كأبي علمٍ من العلوم لم ينشأ دفعة واحدة، وإنما كان له إرهابات ومراحل مرَّ بها ليكتمل ويصبح علم قائم بذاته له حدوده ومصطلحاته، وتجدر الإشارة إلى أنه رغم كونه علم حديث، إلا أنَّ له جذور قديمة، "فهو مصطلح جديد يحمل طريقة قديمة في التفكير، وهي ليست سوى تطبيق للمبدأ المعبر عنه في الكتاب المقدس بالعبارة "تعرفها بثمارها. بدأت على يد سقراط ثم تبعه أرسطو والرواقيون بعد ذلك، لكنها لم تظهر إلى الوجود كنظرية في الفلسفة إلا على يد "باركلي"، فقد كشف عنها بطريقة لم يسبقه فيها فيلسوف آخر"²

أما التداولية في العصر الحديث فقد ظهرت إرهاباتها الأولى عند "بيرس" (Sanders Charles Peirce) و"موريس" (W. Charles Morris) و "فتجنشتاين" (Lachwig Wittgenstein) ثم عرفت التداولية نوعاً من النضج وذلك عند "أوستين" (W. Morris). و "سيرل" Searle.

2-1-1- عند "شارل ساندرس بيرس:

يعد الفيلسوف والسيميائي "بيرس" من الأوائل الذين أحدثوا تطوراً في المجال اللساني والفلسفي، حيث "ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثم بالسيموطيقا، كما ارتبطت بمجال المعرفة والمنهج العلمي، فقد ظهرت ملامح التداولية الأولى مع ظهور مقالته الشهيرة "كيف نجعل أفكارنا واضحة" عام 1878م، حيث تساءل "بيرس" متى يكون للفكرة معنى ودرس الدليل وعلل إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذات والنشاط السيميائي، وقد حاول تطوير التجربة الإنسانية من خلال الأدلة وربطها بالواقع الاجتماعي"³ من هذا المنطلق نجد أن "بيرس" بدأ بالتساؤل والبحث عن كيفية جعل أفكارنا أكثر وضوحاً وانتهى إلى أن

¹-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص5.

²-نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص167.

³-عبد العزيز مصباحي، التداولية؛ مفاهيمها جذورها الفلسفية واللسانية مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، المجلد 13، العدد 01، 2021، ص719.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

تصورنا لموضوع ما يقاس بالنتائج العلمية واعتبر من خلال ذلك التداولية فرعا عن السيميائيات.

2-1-2- عند "تشارلز موريس:

يرجع الفضل في وضع مصطلح التداولية بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس Charles Morris الذي اعتبر التداولية جزء من السيميائية عند تمييزه لثلاثة فروع للسيميائية أو علم العلامات semiotics¹ وهذه الفروع هي:²

1- علم التراكيب syntactics أو syntax : وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

2- علم الدلالة semantics : وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تبدل عليها، أو تحيل إليها.

3- التداولية : وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسيها.

فقد ساهم "تشارلز موريس" مساهمة كبيرة في تطوير الدرس التداولي حتى اعتبر مؤسسها الحقيقي، فلم يكتفِ بدراسة البنية اللغوية دراسة وصفية شاعت بين الدارسين المتأثرين برائد البنيوية اللسانية "دي سوسير"، بل أضاف إليها دراسة المعنى ودراسة علاقة اللغة بمستخدميها، وخص بهذا الجانب (التداولية)، وطرح أول تعريف لها³.

"غير دراسات موريس هذه ظلت حبيسة الإشارات، أي في لائحة محدودة من المصطلحات كالضمائر وظروف الزمان والمكان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعريف موريس للغة ظل واسعاً فضفاضاً لدرجة أنه تجاوز المجال اللغوي إلى المجال السيميائي، بل وتعدى المجال الإنساني إلى الحيواني والآلي"⁴

2-1-3- عند "فتجنشتاين":

يعد الفيلسوف "فتجنشتاين" أحد الأقطاب المهمة التي برزت في الدرس التداولي، حيث كان له دور كبير من خلال أبحاثه لاسيما "نظرية لعبة اللغة" التي ساهمت في تأسيس التداولية وقد سعى "فتجنشتاين" من خلال تأثره بالفلسفة والمنطق إلى إيجاد لغة مثالية مطابقة للفكر الفلسفي، لكنه سرعان ما عدل عن ذلك واتجه إلى دراسة اللغة العادية وكان أهم ما رآه "فتجنشتاين" أن وظيفة اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها⁵.

لكن اللغة وظائف عديدة كالأمر والاستفهام والتمني، والشكر والتهنئة واللحن والقسم... الخ. وليست اللغة عنده حساباً منطقياً دقيقاً لكل كلمة فيما معنى محدد ولكل جملة معنى ثابت بحيث لا تنتقل من جملة إلا ما يلزم عنها من جمل مراعيًا قواعد الاستدلال المنطقي، بل

1- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 2002، ص 9.

2- محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص 9.

3- عكاشة محمود، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 2012، ص 30.

4- عكاشة محمود، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص 30.

5- عبد العزيز مصباحي، التداولية؛ مفاهيمها جذورها الفلسفية واللسانية، ص 720.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامنا لها في الحياة اليومية، وتتعدد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها، فالمعنى عنده هو الاستعمال¹.

2-1-4-جون أوستين:

"تأثر بمن سبقه كالفيلسوف "فتجنشتاين" الذي اعتبر أن اللغة إنما تستخدم لتصف العالم والوقائع الخارجية، فهو يرى أن اللغة ما هي إلا أداة رمزية تشير إلى الواقع، وقد تصدى أوستين" لهذه الأفكار ونقدها وأنكر أن تكون الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار، وقد أنكر أن الوظيفة الوحيدة للعبارة الإخبارية هي وصف حال الوقائع وصفا إما أن يكون صادقا أو كاذبا، وأطلق عليه مصطلح (المغالطة الوصفية)"².

"كما تأثر "جون أوستين" بالتجديد الفلسفي الذي جاء به (فريجه) صاحب الفلسفة التحليلية، وهو الاتجاه الرئيس في فلسفة اللغة أو التيار الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي ركز على موضوع اللغة، وحاول تغيير مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها"³. وقد اهتم "أوستين" بطريقة وصول المعنى إلى المستمع الذي يفسره بصورة طبيعية، وكانت نقطة البداية عندما قام بإلقاء سلسلة من المحاضرات في جامعة هارفارد عام 1955م⁴، وقد بلور في هذه المرحلة مبحثا محوريا "تناقلته الدراسات التداولية لاحقا حتى صار أهم مبحث في التداولية ولا تكاد تذكر إلا وهو موجود معها، وهو مبحث أفعال الكلام"⁵

"ولم يكن هدف أوستن هنا هو تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، وإنما كان يرمي إلى تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة، فوضع بذلك (أوستن) نواة التداولية وطور من وجهة نظر تحليلية"⁶.

لقد كان ل "أوستين" دور فعال في تطور التداولية وذلك من خلال المحاضرات التي ألقاها، والتي اعتبر فيها أن اللغة تستخدم في وصف الواقع، وقد طور هذه الفكرة، ووضع مجموعة من المبادئ في مجال التداولية، وخاصة نظرية الأفعال الكلامية، والتي أكمل أبحاثها الباحث "سيرل".

2-1-5- عند "سيرل":

سار الفيلسوف الأمريكي "سيرل" على خطى أستاذه "أوستين" محاولا تطوير افكاره فانطلق من حيث توقف "أوستين"، وهي نظرية أفعال كلامية، والتي حاول "أوستين" جاهدا التأسيس لها لكن محاولاته لم تكن كافية ولكن كان كافيا بتحديد عدد من المفاهيم الأساسية فيها وخاصة مفهوم الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهوما محوريا في

1- عبد العزيز مصباحي، التداولية، مفاهيمها جذورها الفلسفية واللسانية، ص720.

2- عبد العزيز مصباحي، المرجع نفسه، ص720.

3- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، بغداد، العراق، ط1، 2012، ص34.

4- بشرى البستاني، المرجع نفسه، ص34.

5- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص20.

6- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص34.

الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية

هذه النظرية حتى جاء "جون سيرل" وأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها، وكان ما قدمه من أعمال حول الفعل الإنجازي كافياً لأن يجعل الباحثين يتحدثون عن نظرية "سيرل" في الأفعال الكلامية.

2-1-6- عند غرايس :

على غرار محاضرات "أوستن" وجهود "سيرل" شكلت جهود "بول غرايس" فارفاً كبيراً، "حيث بلور في مقالة "Logic and Conversation" ما يعرف بنظرية المحادثة، سنة 1957م التي أوضح من خلالها أن تأويل ملفوظ ما يعتمد على عاملين وهما: معنى الجملة المتلفظ بها من جهة وسياق التلفظ (سواء أكان لسانياً أو خارج لساني (extralinguistique) من جهة أخرى. وإلى هذين العاملين أضاف "غرايس" ما سماه مبدأ التعاون¹.

وإن التداولية كفرع من فروع اللسانيات الحديثة كانت اجتهادات فردية ثم اكتسبت في مرحلة ثانية بعض الأهمية مع أبحاث "أوستن و سيرل و غرايس" لتتحول فيما بعد إلى اتجاه قائم بذاته، له مصطلحاته وحدوده غير أن "المرحلة المهمة في تاريخ التداولية تزامنت مع انفتاحها على العلوم المعرفية، والأبحاث المتعلقة بالذكاء الاصطناعي وهي أبحاث غيرت الوجه العام للتداولية، وأعلنت ميلاد ما يُعرف بالتداولية المعرفية - Pragmatique cogn نظرية الملازمة Théorie de Pertinence "السيبربر وولسن"، ثم محاولات "ديكرو"، لدمج التداولية مع الدلالة، ضمن ما يعرف بنظرية الحجاج في اللغة، ليتبنى فيما بعد نظرية المجموعات الدلالية وهي نظرية تفتتح على النظرية العامة لتعدد الأصوات².

2- التداولية في الفكر العربي:

إن التداولية كعلم لم تكن وليدة الأمس، بل لها أصول ضاربة في عمق التاريخ وان اختلفت المصطلحات، فلقد أكد الكثير من الباحثين اللغويين على أن ملامح التداولية موجودة في ثنايا الكتابات العربية، حيث تناول التراث العربي بالتفصيل أغلب المسائل التي تحدثت عنها التداولية، "فمن ذلك اهتمامهم بالنص فدرسوه باعتباره خطاباً متكاملًا، متجاوزين بذلك وصف البنية والشكل النحوي، وكل ماله علاقة بعملية التواصل اللغوي، كما اهتموا بمعيار الصدق والكذب ومطابقة الخطاب للواقع، مع مراعاة المقام ومقتضى الحال"³

وتظهر هذه السمات والمبادئ التداولية بشكل جلي في أعمال بعض الباحثين القدماء نحو "الرسالة لـ الشافعي (ت 204هـ) ، والبيان والتبيين لـ الجاحظ (ت: 255هـ)، الخصائص لي ابن جني (ت: 392هـ)، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لـ أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، دلائل الإعجاز لـ عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)، أصول

¹ - بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص34.

² - جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص20

³ - يوسف تعزاوي، نماذج تداولية، مكتبة العمران، المغرب، د ط، 2017، ص15.

الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية

السرخسي (ت: 483هـ)، الكشاف لـ الزمخشري (ت: 538هـ)، التفسير الكبير لـ فخر الدين الرازي (ت: 606هـ) ومفتاح العلوم لـ السكاكي (ت: 626هـ)¹

ففي كتاب الجاحظ مثلاً الموسوم بـ "البيان والتبيين" تتجلى جذور التداولية في تقسيمه للبيان إلى ثلاث وظائف وهي (الوظيفة الإخبارية المعرفية، والوظيفة التأثيرية، والوظيفة الحجاجية)، وانصب اهتمامه أكثر على الوظيفة التأثيرية والتي تمثل جانباً مهماً في التداوليات الحديثة، إضافة إلى قضية البيان والتبيين والفهم والإفهام وشروط كل منها². كما نلمس معالم التداولية عند ابن جني "من خلال ربطه للبلاغة بالخطاب والقناة المؤدية لذلك الخطاب، وهي اللغة، كما قارب التداولية من خلال توضيحه لعلاقة اللفظ بالمعنى، وعلاقة اللفظ باللفظ وعلاقة الحروف ببعضها وأفرد لها أبواباً في كتابة الخصائص"³.

هذا ونجد من ناحية أخرى قضية جوهرية في التداولية كان لها حضور قوي في ثنايا الكتابات العربية القديمة، سواء عند اللغويين أو البلاغيين أو أصوليين، "ألا وهي نظرية أفعال الكلام الحديثة التي قدمها "أوستين وطورها "سيرل"، ويقابلها في التراث العربي قضية الخبر والإنشاء، ذلك أن البلاغيين مثلاً، تناولوا في باب المعاني "الخبر والإنشاء" وعلاقتها بالخارج فالخبر ما احتمل الصدق أو الكذب بالنظر إلى درجة مطابقته للخارج أو مخالفته⁴. أما الإنشاء، فلا يرتبط مفهومه بالصدق والكذب، وتميز مدلوله يتحقق بمجرد التعلق به وهي الفكرة نفسها التي عرضها "أوستين" في مبحث الأفعال الكلامية، حيث ثار على الوضعيين وميز بين نوعين من الأفعال التقريرية والإنجازية من حيث درجة تحققها في الخارج وموقف المتكلم⁵. فوجود ملامح لهذه القضية الجوهرية -أفعال الكلام- التي تعد من صميم الدرس التداولي في تراثنا العربي أكبر دليل على أن العرب كانوا السباقين إلى هذا العلم، وإن اختلفت عندهم المصطلحات وغاب عنهم التنظير.

هذا في الدراسات التراثية، أما في الدراسات الحديثة فقد تأثر العرب المحدثون بما توصل إليه الغربيون من أبحاث، فراحوا ينهلون مما أصدره من مؤلفات وكان السباقون إلى تلك الكتابات أحمد المتوكل وطه عبد الرحمن من خلال البحوث التي قدموها عن التداولية، "ويعود الفضل في وضع مصطلح "تداولية" للدكتور طه عبد الرحمن" كمقابل للمصطلح الأجنبي "pragmatique" وكان ذلك سنة 1970م، وقد ربط الدكتور طه عبد الرحمن التداولية بالتواصل والتفاعل الذي يحدث بين صانعي التراث ومن يتناقله كما ربط

¹ -يوسف تعراوي، نماذج تداولية، ص15.

² -عبد الحكيم سحالية، تقاطع اللسانيات التداولية والدرس اللغوي العربي القديم، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف، الجزائر، المجلد15، العدد 1، 2023، ص296.

³ -عبد الحكيم سحالية، المرجع نفسه، ص296.

⁴ -عبد العزيز مصباحي، التداولية مفاهيمها وجذورها الفلسفية واللسانية، ص717.

⁵ -عبد العزيز مصباحي، المرجع نفسه، ص717.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

بين المعنى اللغوي للتداولية بمعناها الاصطلاحي فيقول في كتابه "تجديد المنهج في تقويم التراث:" أما عن المعنى الاصطلاحي الذي نستعملها فيه فقد أردنا أن يكون موصولاً بهذا المدلول اللغوي وصلاً، لأن هذا الوصل هو الذي يجعل أوصافه الإجرائية مألوفة ومقبولة، وينقل إليها الإنتاجية الموروثة والمبثوثة في هذا المعنى الأصلي¹.

كما اهتم الدكتور "طه عبد الرحمن" بالكلام والعملية التخاطبية، وهي من ملامح التداولية، معتبراً أن التخاطب يتم بين طرفين يتبادلان أقوالاً معينة بغية وصول كل منهما إلى هدفه وهو التبليغ، حيث يقول: "التخاطب إجمالاً، هو عبارة عن إلقاء جانبيين لأقوال بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصوداً معيناً، ولما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبيين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية أو التوصيلية تسمى «قواعد التبليغ»"²

أما الدكتور أحمد المتوكل والذي كان له دور كبير في إعلاء راية التداولية في الوطن العربي فقد تمثلت إسهاماته "في وضع ما يعرف ب نموذج الوظائف التداولية في اللغة العربية الذي قام من خلاله بوصف العربية من وجهة نظر تداولية وظيفية، حيث قسم عناصر الجملة العربية إلى قسمين: عناصر داخلية وتندرج ضمنها البؤرة والمحور، وعناصر خارجية وتندرج ضمنها المبتدأ والذيل والمنادى"³

¹- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص244.
²- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص237.
³- أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص115.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

3- علاقة التداولية بالحقول المعرفية الأخرى:

إن الحديث عن التداولية كجهاز مفاهيمي يفضي إلى الحديث عن مجموعة من الحقول المعرفية التي توحى التداولية بالانتماء إليها، كالبنوية والفلسفة والدلالة، والأسلوبية، والبلاغة وعلم الاجتماع، وغيرها من الأمور التي تمثل التداولية من خلالها حلقة وصل تجمع بين مجموعة من الأنظمة المعرفية وفي ما يلي بيان لبعض تلك الحقول ونقاط تقاطعها مع التداولية:

1-3- **التداولية والفلسفة** : نشأت التداولية وترعرعت في كنف الفلسفة، حتى أنها عُرفت في بدايتها كاتجاه فلسفي أكثر منها مقاربة لسانية لأنها اقترنت بأعمال أكبر الفلاسفة أمثال (أوستن، ووليم جيمس، وجون ديوي، وبيرس، وفيتجنشتاين، وسيرل وغيرهم...)، فهي اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت مع (سقراط)، و(أرسطو). كما ارتبطت أيضاً بمجموعة من التراكمات القديمة في مجال فلسفة اللغة عامة، والفلسفة التحليلية، التي يرى أصحابها أن اللغة هي الأداة المعرفية الوحيدة لمعرفة خبايا الكون وأسراره. وربما هذا التصور العام للغة، هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلامية وليدة الفلسفة العادية ذات المنهج الوظيفي التداولي وهي للفلسفة التحليلية إضافة إلى الوضعانية المنطقية والظاهرانية اللغوية¹

وتشير فرانسواز أرمينكو (Françoise Armingaud) إلى أن التداولية كنظام جديد وغزير لا تمتلك جذوراً واضحة، إلا أنها تقع في مفترق طرق البحث الفلسفي واللساني² من جهة أخرى أكد "فان ديك" على أن أصول التداولية الفلسفية تمتد إلى أعمال الدراسات

اللسانية الحديثة لأن أغلب رواد هذه النظرية هم فلاسفة في الأصل، أي أنها بقيت محافظة على الأصل والطابع الفلسفي الذي يميزها إلى يومنا هذا. حيث اعتبرها أداة عقلية، إلى جانب الكثير من الباحثين لأن "... قدرتنا في التكلم من وجهة نظره هي جوهر فلسفة العقل³

2-3- **التداولية وعلاقتها بالبنوية:**

تهتم البنوية بوصف اللغة باعتبارها مجموعة من القوانين المنتظمة بمعزل عن كل ما يحيط بها وهي بذلك تلغي خاصية اللغة التواصلية والتأثيرية، وهو الجانب الذي أبعد اللساني الشهير فرديناند دوسوسير من مجال دراساته حين وضع ثنائيتها الشهيرة (لغة / كلام)، حيث اعتبر اللغة نظاماً تتم دراسته بعيداً عن كل المؤثرات الخارجية، وهو بذلك يلغى كل الخصائص الفردية التي تطبع ذلك النظام أثناء الأداء فحسب، أما التداولية فتهتم بدراسة

¹- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 22.

²- علي أيت أوشن، النص والسياق الشعري، من البنوية إلى القراءة، ص 56.

³- فان ديك النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، لبنان، د ط، 2000، ص 227.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

اللغة أثناء الاستعمال مركزة في ذلك على دور اللغة في عملية التبليغ بهدف تحقيق التواصل ومن ثمة التأثير على متلقي الخطاب¹.

من هنا تظهر علاقة التداولية بالبنوية، فالكلام ليس معزولاً عن اللغة إلا افتراضاً لأنه لا يمكن للغة أن تتحقق إلا في مستوى الكلام، حيث تُطبع بخصائص من يؤديها مهما حاول تجنب ذلك فالكلام، إذن مظهر من مظاهر تحقق اللغة واقعاً ودراسة هي دراسة الواقع الفعلي للغة وبالتالي فالتداولية والبنوية إذن، مكملان لبعضهما البعض وكل منهما بحاجة للآخر، وما يجعلهما مختلفين إنما هو فقط منهج الدراسة².

3-3- علاقة التداولية بعلم الدلالة :

علم الدلالة فرع من فروع علم اللسان الحديث، لذلك كانت علاقة علم الدلالة بالتداولية وثيقة تماماً كما أنّ علاقتها باللسانيات وثيقة، ومن جهة أخرى يعود التداخل الموجود بين التداولية وعلم الدلالة إلى أن كلا منهما يتناول المعنى، ولكنهما يختلفان في تحديد مستوياته، ومن الدارسين من يعتبر التداولية امتداداً لعلم الدلالة، ولعل الفضل الكبير في التمييز بين هذين العلمين يعود إلى المحاضرات التي ألقاها "أوستين"³.

"لقد ميز "أوستين" بينهما من خلال فكرة الكفاءة والأداء، حيث يصنف علماء اللغة، علم الدلالة ضمن القدرة (معرفة اللغة)، أما التداولية فتصنف ضمن الأداء والإنجاز واستخدام اللغة وبناء على ذلك تقوم التداولية على التبعية لعلم الدلالة الذي يعرف شروط المعنى، وحققيقتها وتهتم التداولية بدراسة هذه الشروط بربط المعنى بالاستخدام، وتحدد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه"⁴

ومن هنا يتضح التداخل والتكامل بين العلمين فالتداولية تبدأ من حيث تنتهي الدلالة حيث تقوم الدلالة بتفسير الملفوظات وتحديد معانيها الحرفية في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، لكن دون الاهتمام بمقاصد المتكلمين، ثم تأتي التداولية لربط مقاصد المتكلمين بالمقام المناسب لهم مراعية في ذلك شروط نجاح أو إخفاق العبارات الكلامية في إطار السياق الذي ترد فيه فهي على عكس الدلالة تدرس العلاقات بين النص والسياق مهتمة في الوقت نفسه بالترابط بين بنية النص وعناصر الموقف الاتصالي الذي يرتبط به على نحو منهجي⁵.

3-4- التداولية وعلاقتها بالسيمائية:

تعتبر السيمائية إحدى الحقول المهمة التي نشأت في أحضانها التداولية، ففي تعريف تشارلز موريس "للتداولية أكد أنها جزء من السيمائية وتمثل إحدى مكوناتها تهتم بدراسة

¹ - يوسف تغزاوي، نماذج تداولية، ص25.

² - يوسف تغزاوي، المرجع نفسه، ص25.

³ - بوقرومة حكيمة، التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة والسمياء، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد 10، 2011، ص63.

⁴ - بوقرومة حكيمة، التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة والسمياء، ص63

⁵ - يوسف تغزاوي، نماذج تداولية، ص26.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

العلاقة بين العلامات، وبين مستعملها أو مفسريها متكلم، سامع، قارئ، كاتب ... وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات، حيث حدد أبعاد السيميائية في ثلاثة أمور (علم التراكيب وعلم الدلالة والتداولية)¹.

"وإن الموضوع السيميائي يهتم بالفعل التلفظي ويبرر وجود هئتين هما: اللافظ والملفوظ له، وإذا كان التلفظ هيئة لسانية وسيميائية يفترضها منطقيا الملفوظ وتظهر آثارها في الخطابات، فإنّ الموضوع السيميائي يستعمل للدلالة على كل مجموعة دالة، كيفما كان نوعها (جملة ، خطاب سياسي، رواية، لوحة صورة فوتوغرافية ، وكيفما كانت أشكال التعبير أو أنواع التجلي (سمعية بصرية، ذوقية، شمعية، لمسية،...) والتي قد تتوحد في سيميائيات تسمى "تأليفية" على نحو ما نلاحظ ذلك في السينما التي تشغل على البصري والسمعي"²

3-5- التداولية وعلاقتها بالأسلوبية:

تهتم كل من التداولية والأسلوبية باللغة إلا أنهما تختلفان في منهج دراستها فإذا كانت التداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء استعمالها مع مراعاة قواعد هذا الاستعمال التي توجد في أذهاننا والتي تسمح لنا بتأدية المعنى المطلوب كالقواعد الاجتماعية والعملية والأسلوبية، ومراعاة السياق الذي ترد فيه إلى جانب الاهتمام بالقوى الإنجازية المتضمنة في الأفعال الكلامية وشروط تحقق الفعل بالقول، فإن الأسلوبية تلغي كل الأبعاد التي تخرج من نطاق البعد اللساني للنص الأدبي، فهي وإن أقرت بوجود جوانب ثقافية واجتماعية ونفسية تؤثر في إنتاج النص الأدبي إلا أنها لا تأخذها بعين الاعتبار أثناء دراستها للنص. فالأسلوبية تقف عند حدود جمالية العبارة وهي بذلك تنظر إلى النص الأدبي من خلال حصره بين ثنائية «النمط والانزياح» أو «الاستعمال المعياري» و«الاستعمال الأدبي» أو «اللغة العادية والكلام الأدبي من هنا نخلص إلى أن التداولية تدرس اللغة أثناء استعمالها أما الأسلوبية تهتم بدراسة الجوانب الجمالية للغة كالانزياح مثلاً³.

3-6- التداولية وعلاقتها بالبلاغة:

تدرس البلاغة كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها أثناء عملية التواصل بقصد تبليغ رسالة ما، مراعية مقتضى الحال (لكل مقام مقال). وقد عرفها أبو الهلال العسكري من الناحية اللغوية بقوله: «البلاغة من قولهم بَلَّغْتُ الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري.. فسميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيقيمه.. ولا يخرج معناها اصطلاحاً عن التبليغ والانتهاج إلى قلب السامع "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع،

¹ -بوقرومة حكيمة،التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة والسمياء، ص65.

² - بوقرومة حكيمة، المرجع نفسه، ص65.

³ -يوسف تغزاوي، نماذج تداولية، ص28.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن فالبلاغة إذن تقوم على مبدأ التبليغ والتأثير في السامع أثناء عملية التواصل¹.

"ومن هنا يصبح التداخل واضحاً بين العلمين، إذ إنهما يشتركان في اهتمامهما بدراسة اللغة بوصفها أداة تبليغ وتأثير وتواصل بين المتكلمين ويساند هذا الرأي «ليتشن» «Leitch» في قوله: «إن البلاغة تداولية في صميمها: إذا أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإن البلاغة والتداولية البراغمية، تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي"²

3-7- العلاقة بين التداولية واللسانيات الاجتماعية :

لقد نشأت اللسانيات الاجتماعية في نفس الظروف التي نشأت فيها التداولية، وتمثل هذه الظروف في نقد ما جاءت به اللسانيات البنوية حيث أهملت السياق في دراستها التحليلية، وعليه جاءت اللسانيات الاجتماعية والتداولية وأعادا اعتبار المكون الاجتماعي للغة، ومن خلال هذا الاشتراك والتقاطع،³ "يتضح أن التداولية تتداخل مع اللسانيات في إظهار أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، وموضوع الحديث ومرتبة كل من المرسل والمرسل إليه وجنسهما، وكذلك أثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية"⁴.

إن التداولية عند "أوستين" هي جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر، وهو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر، أي أنها تدرس الاتصال اللغوي في إطاره الاجتماعي بالكشف عن الشروط والضوابط التي تسهم في عملية إنتاج الفعل اللغوي، وأيضاً تبحث في جانبه التأثيري التفاعلي أي الربط بين البنية اللغوية والسياق الاجتماعي المحيط بكل من المتكلم والمستمع.⁵

ويلتقي هذان العلمان أيضاً في المجالات التي تستند إليها التداولية في معالجة قضاياها مثل علم الاجتماع و علم النفس و اللسانيات و علم الاتصال و الأنثروبولوجيا وكذا الفلسفة التحليلية... وكل هذا أكسبها طابعاً مميزاً وشاملاً وثريراً، فعلى سبيل المثال نجد أن الدرس التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل والبيئة الاجتماعية، باعتبار أن اللغة جزء لا يتجزأ من تلك البيئة التي تؤدي من خلالها وظائفها والتي لا تتحقق إلا من خلال الكلام في

¹ - يوسف تغزاوي، نماذج تداولية، ص28.

² - يوسف تغزاوي، المرجع نفسه، ص28.

³ - دحمان بونونة عويشة، التداخل المعرفي بين التداولية واللسانيات الاجتماعية، مجلة بدايات، جامعة الشهيد أحمد زبانه، غليزان، الجزائر، المجلد 4، العدد2، 2022، ص49.

⁴ - علفية أيت بوجمعة، التداولية دراسة في المجالات والفروع، مجلة الممارسات اللغوية، العدد37، 2016، ص172.

⁵ - دحمان بونونة عويشة، التداخل المعرفي بين التداولية واللسانيات الاجتماعية، ص48.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

سياقات اجتماعية، وهنا تلتقي اللسانيات الاجتماعية مع التداولية في دراسة الظاهرة اللغوية داخل إطارها الاجتماعي¹.

"كما يتجلى التداخل والتفاعل بين التداولية و اللسانيات الاجتماعية في قضية دراسات التأشيرات الاجتماعية وأفعال الكلام واستعمالاته، وقد ساهمت التداولية في اللسانيات الاجتماعية في دراسة وتحليل الخطابات والمحادثات ومعرفة أبعادها ومقاصدها"²

3-8- التداولية وعلاقتها بعلم اللغة النفسي:

تتشترك اللسانيات التداولية مع هذا العلم في كون اللسانيات التداولية تعتمد في دراستها على بعض المقولات النفسية للمتكلم والسامع من خلال النظر إلى شخصياتهم اثناء الحديث، كالقدرة على التركيز، القدرة على الفهم، والقدرة على الانتباه والذاكرة الشخصية وغيرها من القدرات الذهنية والنفسية التي تختلف بطبيعة الحال من شخص لآخر ومن مقام لآخر³، وكل هذه العناصر لها تأثير على أداء الأفراد وقدراتهم التبليغية في الموقف الكلامي.

المبحث الثاني: مفاهيم التداولية

ذكرنا فيما سبق أن التداولية كنظرية لسانية مستقلة بذاتها، لم تنشأ دفعة واحدة وإنما مرت بمراحل عديدة حتى اكتملت معالمها، وقد تولد عن تلك التطورات مجموعة من الاتجاهات المختلفة وبالتالي بدورها أفرزت العديد من المصطلحات والمفاهيم، وفيما يلي عرض لأهم مفاهيم التداولية وتاريخ شاتها وأهم مبادئها.

1- القصدية :

1-1- مفهوم القصدية :

أ- لغة : مشتقة من مادة قصد ويعرفها ابن منظور في معجم لسان العرب : "الْقَصْدُ اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ ، وَقَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا فَهُوَ قَاصِدٌ ، وَطَرِيقٌ قَاصِدٌ : سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ ، وَسَفَرٌ قَاصِدٌ : سَهْلٌ قَرِيبٌ ، وَالْقَصْدُ: الْعَدْلُ. وَيُقَالُ: قَصَدْتُ قَصْدَهُ: نَحَوْتُ نَحْوَهُ، وَالْقَصْدُ فِي الشَّيْءِ: خِلَافُ الْإِفْرَاطِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ. وَالْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ: أَنْ لَا يُسْرِفَ وَلَا يُقْتِرَ"⁴ وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي: "الْقَصْدُ : اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ، وَقَصَدَهُ يَقْصِدُهُ، وَضَدُّهُ الْإِفْرَاطُ، كَالْإِقْتِصَادِ، وَأَقْصَدَ السَّهْمُ : أَصَابَ فَقَتَلَ مَكَانَهُ ، وَفُلَانًا : طَعَنَهُ فَلَمْ يُخْطِئْهُ"⁵ نستشف من التعريف اللغوي للقصدية أنها تحمل معنى الاستقامة والعدل والتوجه نحو هدف محدد ومعين.

1 - دحمان بونونة عويشة ، التداخل المعرفي بين التداولية و اللسانيات الاجتماعية، ص49.

2- المرجع نفسه، ص49.

3- يوسف تعزاوي، نماذج تداولية، ص29.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة(ق ص د)، مجلد 12، ص114.

5- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(ق ص د)، ج3، ص392.

الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية

ب- اصطلاحاً:

القصدية في مفهومها العام هي " فعل إنساني مصدره العقل الذي يمتلك القدرة على توجيه ذاته نحو الأشياء وتمثيلها، فهي المعتقدات والظنون والأوهام الواعية والملاوافية التي تدفع بالمتكلم لإنجاز كلامه لهدف معيّن"¹، ويمكن القول بأن القصدية تفترض أن يكون الوعي دائماً وعي شيء ما، وقد كانت تشير في الفلسفة الإغريقية القديمة إلى قوة الروح العليا كونها الأساس للإدراك والوعي المنفتح على قصدية الشعور، ولأنّ الذات الواعية المدركة للظواهر نفساً تخمّن الأشياء من كانت الفلسفة في جوهرها تعبيراً عن الذاتية بمعنى أنها تقوم على التفكير الحر.

عرف جون سيرل " John Searle " القصدية بقوله : "هي تلك الخاصية لكثير الحالات والحوادث العقلية التي تتجه عن طريقها الأشياء وسير الأحوال في العالم أو تدور حولها أو تتعلّق بها"²، فالقصدية من وجهة نظر سيرل مرتبطة بحالات ذاتية وعقلية يتمن خلالها التوجه إلى العالم الخارجي إذ من خصائص العقل أنه يربط الذات عبر القصد بعالمها الخارجي بواسطة اللغة، فهي تلك السمة التي تمكن الوعي من التوجه نحو الموضوعات والأحداث في العالم الواقعي ليصبح الوعي من هذا المنطلق وعياً بشيء ما.

1-2-نشأة القصدية

القصدية كمصطلح ظهرت لأول مرة " عند الفلاسفة المدرسين في العصر الوسيط، وهي مشتق من الكلمة اللاتينية Intendo " أو " Intentio" بمعنى الشدّ أو المد أو التوجه، وقد فرق هؤلاء الفلاسفة بين نوعين من المقاصد الأولى: تعنى بالأشياء وملاحظها خارج العقل أما المقاصد الثانية فهي المفاهيم التي تتعلق بالمقاصد الأولى، ثم طور هؤلاء الفلاسفة نظريات حول ارتباط المقاصد بالأشياء المعنية، و رأوا أن المقاصد الثانية تشكل موضوعات للمنطق ، كما استفادوا من نظرية "أرسطو" حول إدراك الشيء من غير استقبال لمادته"³.

وظل مصطلح القصدية مغموزاً حتى أحيي لأول مرة على يد الفيلسوف فرانز برنتانو Franz Brentano (1838-1917) في كتابه علم النفس من وجهة نظر تجريبية عام 1874 الذي يُعد مصدر التفكير الفلسفي في العقل والقصدية في الفكر الأوربي المعاصر كما تُعتبر القصدية من أشهر نظرياته على الإطلاق⁴.

ف "فرانز برنتانو" أول من أدخل تعبير "القصدية" إلى الفكر الحديث، بقصد التمييز بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة النفسية فانتهى إلى اعتبارها الصفة الأساسية التي تميز

¹- وسام مزروقي، القصدية وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، مجلة إشكاليات في اللغة والأدب، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، مجلد 8، عدد 1، 2019.

²- وسام مزروقي، القصدية وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، ص172.

³-وشن دلال، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 6، 2010، ص2.

⁴-وشن دلال، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، ص4.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

الظواهر النفسية، حيث يقول : "تتميز كل ظاهرة ذهنية بما أسماه المدرسيون الوجود القصدي أو العقلي لموضوع، وبعبارة أخرى ، ربما كانت أقل وضوحاً، علاقة بمضمون أو اتجاه نحو موضوع، كل ظاهرة كذلك تتضمن شيئاً ما بوصفه موضوعاً، ولكنها لا تتضمن الموضوعات على نحو واحد ففي التمثيل شيء ما ممتثلاً ، وفي الحكم شيء ما ممتثلاً أو منفيًا"¹، انتشرت أفكار "برنتانو" على الرغم من الأوضاع السيئة التي عاها²، وكانت أشهر مبادئه حول القصدية أنه اعتبر القصد المعيار الفاصل والمميز بين الظاهرة النفسية والجسمية، وذلك من خلال ثلاثة معايير:³

1. إن كون شيء ما موضوعاً للفعل القصدي لا يسمح لنا أن نستدل عما إذا كان هذا الشيء موجوداً أو لا.

2. وإذا كانت قضية ما هي موضوعاً للفعل القصدي فإنه ليس بوسعنا الاستدلال عما إذا كانت صادقة أم كاذبة.

كما مثل "برنتانو" بأفكاره هذه موقفاً وسطاً بين اتجاهين فلسفيين تقليديين سائدين في الفلسفة الغربية هما: الفلسفة الأوربية باستثناء بريطانيا والفلسفة التحليلية السائدة في البلدان الناطقة بالإنجليزية، ففي الأولى نجد الفلسفة الظاهرية أو الفينومينولوجيا التي ارتقى بها ادموند هوسرل Edmoond Hausserl (1859-1938) إلى درجة النسقية و التنظير هي تطوير الأفكار "برنتانو" عن القصدية ، وفي الفلسفة التحليلية نجد أن القاسم المشترك بينها وبين نظيرتها في أوربا هي السمة القصدية للأفعال العقلية مع اختلاف في التطبيق والتفسير.⁴

واتخذ مفهوم القصدية منذ ذلك الحين معنيين اثنين سارا في اتجاهين متباينين مع أسبقية أحدهما عن الآخر واستفادة ثانيهما من الأول. ونعني بهما : ظاهراتية هوسرل"، وقصدية سيرل" حول الأفعال الكلامية⁵. ويجمع الباحثون على أن المدرسة الظاهرية في ضوء أعمال هوسرل" من أهم اللحظات التي شهدتها تطور فلسفة "برنتانو" ويعتبرون أن الاتجاه السيكلوجي الذي بلوره ينبنى على منظور فلسفي هو في العمق امتداد لسيكلوجية المقاصد التي بدأها أستاذه عندما رأى أنّ ماهية الوعي كامنة في كونه دائماً وعياً لشيء، وظهر ما يُعرف في الفلسفة بالفينومينولوجيا la phenomenologie⁶

¹ - يوسف سليم سلامة، الفينومينولوجيا المنطق عند إدموند هوسرل ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، د ط، 2007، ص 109.

² - وشن دلال، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة ، ص 5.

³ - يوسف سليم سلامة، الفينومينولوجيا المنطق عند إدموند هوسرل ، ص 109.

⁴ - وشن دلال، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة ، ص 5.

⁵ - وشن دلال، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة ، ص 5.

⁶ - وشن دلال، المرجع نفسه ، ص 5.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

ولم يكتف هوسرل بالطرح الذي قدمه برانتانو في مجال القصدية، بل عمل على تطويرها، وذلك ما نلاحظه عبر مؤلفاته، حيث أن القصدية تطورت بتطور المنهج الفيونومينولوجي، و يمكن أن نشير إلى أهم هذه المراحل:¹

المرحلة الرياضية : اتخذت القصدية في هذه المرحلة طابعا رياضيا وظهر ذلك خاصة في كتاب "فلسفة الحساب"، أين ارتبطت بحوث هوسرل هنا بطبيعة الأعداد والمعرفة الحسابية.

المرحلة المنطقية: هنا نجد انتقال القصدية إلى الصبغة المنطقية، التي ظهرت في كتاب البحوث المنطقية، ولقد كان للقصدية حضور بارزا في هذا المؤلف، حيث خصص لها هوسرل حيزا كبيرا من هذا الكتاب في جزئه الخامس.

المرحلة الفيونومينولوجية : في هذه المرحلة أصبح للقصدية دور محوري في بناء المعرفة الفيونومينولوجية، ظهر ذلك من خلال مؤلفات أفكار أساسية وتأملات ديكارتيّة، إلى غاية أزمة العلوم الأوروبية.

وكان للقصدية دور كبير في بناء المنهج الفيونومينولوجي من خلال اكتشاف هوسرل لعاملين مهمين هما: الفعل القصدى والتحليل القصدى.

وتحتل القصدية موقعا مركزيا في اللسانيات التداولية، ولهذا فقد أسهب جون سيرل في الكشف عن طبيعتها، وشرح أبعادها، وتتبع آثارها في المجال التخاطبي؛ "وتدل كتاباته على هذا الاهتمام، ابتداء من كتاب: "القصدية، بحث في فلسفة العقل" وكتاب: "رؤية الأشياء كما هي"، كما تناولها عرضا في أغلب كتبه الأخرى؛ وبالمثل فعل آخرون منهم روبرت ستانلاكر في كتابه: السياق، والمضمون بحوث حول القصدية في الخطاب وفي الفكر، وجرانت جيلي في كتابه: الوعي والقصدية، وغير هؤلاء كثير².

ويجب أن نلاحظ أن كتابات هؤلاء، تصبّ في أغلبها في شرح أبعاد القصدية، وأنها تقوم على توسيع مفهوم الدلالة؛ فالدلالة عندهم لا يجب أن يقتصر على تحليل البنى التركيبية في علاقتها بالسياق وحسب، ولكن في الوقوف على مقاصد المتكلم. ويجب أن نلاحظ أيضا أن القصدية بهذا الاعتبار عملية نفسية بالدرجة الأولى، ولذلك وجب ربط النشاط اللساني عند الإنسان بالنشاط النفسى أي بمقاصد المتكلم³.

1-3-1- أنواع القصدية:

1-3-1- قصدية المؤلف (المنتج):

¹ - مباركى عبد العزيز، القصدية كأساس لبناء المعرفة الفيونومينولوجية، مجلة لوغوس، مخبر الفيونومينولوجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، الجزائر، العدد 10، 2020، ص 43.

² - بن زحاف يوسف، مفهوم القصدية في اللسانيات التداولية، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز الجامعي احمد زبانه، غيلزان الجزائر، العدد 12، المجلد 3، 2020، ص 26.

³ - بن زحاف يوسف، المرجع نفسه، ص 26.

الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية

النص الأدبي، هو ملتقى وعي الكاتب ووعي القارئ، وقد رفض النقاد استجابة القارئ النظر إلى المعنى على أنه كامن في النص، ورفضهم اعتداد النص موضوعاً قارئاً¹، ويتعلق هذا النوع من القصد بمختلف الشروط الإستراتيجية التي يقصد إليها المتكلم المتلفظ في عملية تخاطبه مع المؤول/ القارئ والهدف منها هو مساعدة هذا الأخير، وتوجيهه التوجيه الصحيح، لفهم دلالة النص أو تأويله تأويلاً يلاءم سياقه الخطابي².

1-3-2- قصدية النص:

هي تلك "الاستراتيجية التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها" وهي قصدية ترمس أطرافاً من الدلالة الكلية باعتبارها عاملاً محورياً في تكثيف المعطيات اللغوية التي تساعد على فهم النص، ذلك أن كل نص هو نتاج مرجعيات كثيرة ومتشعبة يصعب في كثير من الأحيان الوصول إليها أو إدراك مكنون البناء الداخلي لها، أو الكشف عن مجاهلها التي تتعدد وتتسع باتساع الدائرة التأويلية المفتوحة على المغامرة اللانهائية التي بإمكانها أن تحيط بالنص من حيث حركته ووظيفته³.

وتجمع القصدية النصية بين اللاوعي والوعي لتمنح النص فسحة دلالية أوسع وطاقت إيحائية أعلى تتكئ على رؤية تكثيفية تقوده إلى دلالة المعنى المتوالد ليعطي داخل حافز اللاوعي بعداً تناظرياً جوهرياً.

1-3-3- قصدية المتلقي:

ويقصد بها أن القارئ بناءً على قرائن نصية وانطلاقاً من قصدية صاحب النص يعمد إلى خلخلة ثوابت النص الذي لا يمكنه البقاء خارج حدود التأويل، ذلك التأويل الذي يمكنه من تجديد النص وزحزحة مساره فهو في النهاية مغامرة في طبقات النص وبين تفاصيله تستدعي من القارئ المساهمة في تجديد النص وتخصيب معانيه ومحاولة تمثل فضائه المتداخل والمشتبك وفق آلية تؤمن إنتاج القصد وتحويله إلى رؤية تقبل إعادة الهندسة⁴.

فكل قارئ محاصر بسؤال أنطولوجي يتعلق بوجود النص وبقوانينه التي تحكمه لأن العلاقة بين النص والقارئ هي علاقة وجود وترابط جدلي عميق، وبالتالي يتحقق نوع من الحوارية المبنية على التفاعل الذي يهدف إلى "كشف عالم النص وضبط مقصديته، وتحديد ما يريده صاحب الخطاب مما يتيح له استقبال النص في أفقه الصحيح المتصارع مع وحدة الرؤيا لتوليد أشكال جديدة من التأويلات الممكنة ضمن رؤية نسقية مفتوحة.

¹ - بن الدين بخولة، النص بين قصدية المؤلف وانطولوجية الفهم، مجلة دراسات، المركز الجامعي أفلو، الجزائر، المجلد 9، العدد 2، 2020، ص 17.

² - بوشعيب شداق، مقصدية العمل الأدبي: بين التقييد والانفتاح، مجلة علامات في النقد، العدد: 54، 2004، ص 449.

³ - وسام مزروقي، القصدية وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، ص 177.

⁴ - وسام مزروقي، المرجع نفسه، ص 177.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

2-السياق :

يعد السياق واحداً من بين المفاهيم الجوهرية التي يقوم عليها الخطاب التداولي، إذ يشمل جميع الظروف التي تساهم في تنظيم النص وإنتاجه، وبالتالي فهو يلعب دوراً مهماً، في فهم النصوص وتحليلها وتحديد مقاصد الخطاب، لذلك لقي عناية كبيرة من قبل الباحثين اللسانيين، قبل حتى ظهور اللسانيات التداولية، وقد عرف السياق بتعريفات عديدة ، لكن تلك التعريفات بقيت محصورة في إطار السياق اللغوي إلى أن ظهرت النظرية التداولية، فأخذ السياق مساراً أكثر بعداً مع هذه الدراسة، والتي عمق أصحابها في مسألة السياق اعتماداً على تجاوز الإطار اللغوي المحض.

2-1- مفهوم السياق :

أ- اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "سَاقٌ يَسُوقُ و سَاقٌ الإِبِلَ وَغَيْرَهَا يَسُوقُهَا سَوْقًا وَسِيْقًا، وَهُوَ سَائِقٌ وَسَوَاقٌ، وَالْمُسَاوِقَةُ: الْمُتَابَعَةُ كَأَنَّ بَعْضَهَا يَسُوقُ بَعْضًا. وَأَسَاقَتْ وَتَسَاوَقَتِ الإِبِلُ تَسَاوِقًا إِذَا تَتَابَعَتْ، وَكَذَلِكَ تَقَاوَدَتْ فِيهِ مُتَقَاوِدَةٌ مُتَسَاوِقَةٌ"¹

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس "السيين والواو والقاف أصلٌ واحدٌ وهو حدو الشيء يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا وَالسِّيْقَةُ مَا اسْتَبَقَ مِنَ الدَّوَابِّ، وَيُقَالُ سَقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا وَأَسَقْتُهُ وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَالْجَمْعُ أَسْوَاقٌ"². يتبين لنا من التعريف اللغوي للسياق أنه يحمل معنى التتابع والانقياد والانتظام في مكان محدد.

ب- اصطلاحاً:

السياق في أبسط تعريفاته هو: "المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية"³.

ويرى "هاليداي Halliday" أن السياق : "هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر ، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"⁴

ويعرف السياق أيضاً على أنه: "مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلطف بموقف الكلام، وتسمى هذه الظروف في بعض الأحيان بالسياق Context"⁵ فالسياق إذن هو تلك الظروف المحيطة ، أثناء حدوث الكلام.

ويعرفه تمام حسان بقوله: "المقصود بالسياق، التوالي، ومن ثم يمكن أن ننظر إليه من زاويتين: أولاهما توالى العناصر التي يتحقق بها السياق الكلامي، وفي هذه الحالة نسمى

¹-ابن منظور، لسان العرب، مادة (س و ق)، مجلد7، ص305.

² - مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (س و ق)، ج 3، ص117.

³ - ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا فرع اللغة، المملكة العربية، 1997/ 1998، ص144.

⁴-ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص144.

⁵-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط2، 2004، ص41.

الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية

السياق "سياق النص". والثانية توالى الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام وعندئذ نسمى السياق سياق الموقف¹.

وتمام حسان هنا عرف السياق بالنظر إلى أنواعه وحيث قسمه إلى نوعين : سياق النص أو المقال، وسياق المقام أي ظروف وملابسات النص الخارجية. فالسياق إذن يتطلب دراسة معاني الكلمات عند أصحاب نظرية السياق تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوي.

2-2- ظروف نشأة السياق :

إنَّ المتتبع لنظرية السياق يجد أنّ جذورها الأولى تعود لمحاضرات "فرديناد دي سوسير" الذي فرق بين نوعين من العلاقات اللغوية وهي "العلاقات الإيحائية والعلاقات السياقية، معتبراً أن الكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها، إلا بفضل مقابلتها بما هو سابق، وما هو لاحق لها، أو لكليهما معاً غير أنّ السياق عند "دي سوسير" لم يتجاوز العلاقات النظامية والمعجمية للمتوالية المفروضة المتسمة بالخطية (النص)، وبمعنى آخر إن السياق عنده هو السياق اللغوي، ولذلك حاول "سوسير" أن ينسبه إلى اللغة مرة وإلى الكلام مرة أخرى، لأن النص ليس صورة مجردة أو يمكن تجريدها كالكلمة والجملة باعتباره متوالية خطية كبرى، كما أن النص ليس إلا التنفيذ الفعلي (الكلام) لمعطيات النظام (اللغة)؛ ولذا عده بلومفيلد مظهر من مظاهر الاستعمال اللغوي غير قابل للتحديد².

وترجع البداية الحقيقية لنظرية السياق في الغرب إلى الجهود التي بذلها "برونسلا مالينوفسكي Malinowsky" عندما حاول ترجمة كلمات مستقلة أو جمل منعزلة من إحدى اللغات البدائية المحدودة الانتشار إلى الإنجليزية فبينما كان هذا العالم الأنثروبولوجي الاجتماعي، يدرس بعض المجتمعات البدائية من الناحية الأنثروبولوجية، وعند اشتغاله بأبحاث خاصة بسكان جزر تروبرياند (Trobriand) جنوبي الباسفيك وجد أنه عاجز كما يقول "بالمر" عن الوصول إلى أي ترجمات للنصوص التي سجلها³.

ويخرج "مالينوفسكي" من عجزه بزعم أن هذا الكلام المنطوق يكون له معنى فقط لو رأيناه في السياق الذي استخدم فيه، حيث ستكون واضحاً - على سبيل المثال- أن كلمة خشب تشير إلى مجداف الزورق ، ويقرر بذلك رأيه في وظيفة اللغة واستخداماتها حين يذهب إلى أن اللغات الحية يجب ألا تعامل معاملة اللغات الميتة، تنزع من سياق حالها، بل ينظر إليها كما استخدمها الأفراد، ف"مالينوفسكي" يرى أنّ اللغة أسلوب عمل وليست توثيق فكر⁴.

ثم جاءت أعمال اللغوي والمؤرخ "جون روبرت فيرث" الذي اعتبر الرائد الحقيقي لنظرية السياق (Contextual theory) حيث بلور هذه النظرية وأرسى دعائمها مستفيداً

¹-تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص237..

²- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص144.

³-ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، المرجع نفسه، ص152.

⁴-ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، المرجع نفسه، ص152.

الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية

من جهود "مالينوفسكي"، من خلال دراسته الاجتماعية، إذ يرى أن اللغة ظاهرة اجتماعية ينبغي الاهتمام بها، حيث يقول (فيرث): "إن اللغة ينبغي أن تدرس بوصفها جزءا من المسار الاجتماعي، أي كشكل من أشكال الحياة الإنسانية وليس كمجموعة من العلامات الاعتبائية أو الإشارات"¹.

وبما أن اللغة الوسيلة الوحيدة التي تساعد على فهم المعاني المتعددة، فإن "فيرث" قام بدراسة مكونات اللغة وفق ظروف اجتماعية، وبالتركيز على العلاقات التي تربط اللغة بالمجتمع. "ومن خلال ذلك فقد تبني "فيرث" نظرية "سياق الموقف" التي ابتكرها (مالينوفسكي) حينما واجهته مشكلة ترجمة النصوص الإثنوغرافية في جزر التروبرايندية التي كان يعمل بها، حيث طور على إثر ذلك نظرية سياق الموقف؛ ليتمكن من معاينة الوظائف أو المعاني التي تؤديها الكلمات والجمل في السياقات الموقفية الخاصة التي تستعمل فيها. فقد قرر (مالينوفسكي) أنه من الضروري أن توضع كل ألفاظ الكلام في سياق الموقف لفهم مغزاها الحقيقي"².

و تنطلق النظرية السياقية عند فيرث من ركنين أساسيين، هما: السياق اللغوي الداخلي أو سياق النص، وقد أشار إليه (فيرث) من خلال حديثه عن نوعية العلاقات التي تربط الألفاظ، وهي العلاقات الداخلية أو الشكلية. وبعبارة أخرى، فإن السياق الداخلي لا يتجاوز وظائفه خارج حدود النص. أي أنه يبحث في علاقة الكلمة بالأخرى، وعلاقة الكلمة بالجملة، بالإضافة إلى علاقة الحروف والأصوات بالكلمة³.

أما الركن الثاني للنظرية السياقية فهو السياق الخارجي أو سياق موقف أو السياق غير اللغوي، وقد أشار إليه "فيرث" بالعلاقات الموقفية، وهو السياق الذي تربطه علاقة ما مع الظروف والملابسات المحيطة بالكلام أو العناصر الخارجية غير اللغوية، وقد استفاد "فيرث" في سياق الموقف من إشارات "مالينوفسكي" من خلال أبحاثه ودراساته الإنثروبولوجية⁴.

3-2- أنواع السياق:

أ- **السياق اللغوي:** "وهو سياق داخلي من النص ذاته، أي مجموعة الأصوات التي تفضي إلى مدلول معين، فالمعنى لا يظهر إلا من خلال وضع هذه الألفاظ في سياقات مختلفة"⁵.

1- احمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005، ص174.

2- أحمد إحميدات، نظرية فيرث السياقية بين الأصالة والتجديد، مجلة الضاد، جامعة ملایا، د ع، 2015، ص263.

3- أحمد إحميدات، المرجع نفسه، ص263.

4- أحمد إحميدات، المرجع نفسه، ص263.

5- احميدة مداني، أهمية السياق في كشف المعنى وعلاقته بضبط القاعدة النحوية، مجلة دراسات معاصرة، جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر، المجلد 07، العدد 01، 2023، ص335.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

ب- السياق غير اللغوي (مقامي):

ويقصد به " كل الظروف الخارجية المحيطة بالنص التي تشتمل على الطبقات المقامية المختلفة والمتباينة التي ينجز ضمنها النص، وينتهي ضمنه المظهر الخطابي ذو الرسالة اللغوية في مقام معين، بحيث تتغير المدلولات بتغير المواقف والظروف التي نشأ فيها النص أو الخطاب"¹.

ج-السياق العاطفي: "وهو الذي يحدّد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالاتها العاطفية. ويتضح هذا - كما يقول "أولمان" - في مجموعة معينة من الكلمات نحو (حرّية وعدل)، إذ تشحن عادة بمضمونات عاطفية"².

د-السياق الثقافي: وينفرد السياق الثقافي بدور مستقل عن سياق الموقف الذي يقصد به عادة المقام من خلال المعطيات الاجتماعية. لكن هذا لا ينفي دخول السياق الثقافي ضمن معطيات المقام عموماً. ويظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد، فالمتقف العربي المعاصر يختار كلمة (زوجة) أو (مدام) للدلالة على امرأته، على حين يستخدم الرجل العادي كلمة (مرّه) للدلالة على زوجته"³.

3-الأفعال الكلامية:

3-1- مفهوم الأفعال الكلامية:

الأفعال الكلامية مركب وصفي مكون من جزأين، الأول: هو الأفعال، وأما الثاني فهو الكلامية وفيما يلي تعريف لكلا المصطلحين:

أ-الأفعال: جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: " الفَاءُ والعَيْنُ واللامُّ أصلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاثِ شَيْءٍ مِنْ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ وَ مِنْ ذَلِكَ : فَعَلْتُ كَذَا أَفَعَلُهُ فَعَلًا"⁴

ب-الكلامية" يعرف ابن فارس الكلام في مقاييس اللغة بقوله:"الكافُ واللامُّ والميمُ أصلان أحدهما يَدُلُّ عَلَى نطق مُفْهَمٍ والأخرُ عَلَى جَرَّاحٍ،وتَقُولُ كَلِمَتُهُ أَكَلِمُهُ تَكَلِيمًا وَهُوَ كَلِيمِي إِذَا كَلَّمَكَ أَوْ كَلَّمْتُهُ"⁵،والكَلَامُ "اسْمٌ جِنْسٌ يَقَعُ عَلَى القَلِيلِ والكَثِيرِ، والكَلِمُ لَا يَكُونُ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ لِأَنَّهُ جَمْعُ كَلِمَةٍ.الكَلَامُ مَا كَانَ مُكْتَفِيًا بِنَفْسِهِ وَهُوَ الجُمْلَةُ"⁶

وتعد "نظرية أفعال الكلام" أحد أهم مفاهيم التداولية بل إن هناك من يعتبرها مرادفاً لها، ويعد "أوستن" المنظر الاول لهذه النظرية، حيث يعرف الفعل الكلامي على أنه:"كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلاً عن ذلك، يُعد نشاطاً مادياً

¹-الطيب الغزالي قواوة، الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر،المركز الجامعي الوادي، الجزائر، العدد 08، 2012، ص66.

²-أحمد محمد قدور،مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 2008، ص356.

³-أحمد محمد قدور، المرجع نفسه، ص359.

⁴-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة(ف ع ل)، مجلد4، ص511.

⁵- ابن فارس ، المرجع نفسه، مادة(ك ل م) ، ج5، ص131.

⁶- ابن منظور، لسان العرب، مادة(ك ل م) ،مجلد105، ص13.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

نحوياً يتوسل أفعالاً قولية "Actes Locutoies" لتحقيق أغراض إنجازية "Actes illocutoires" الطلب والأمر والوعد والوعيد... الخ، وغايات تأثيرية "Actes Perlocutoires" تُخَصُّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعياً أو مؤسسياً، ومن ثمَّ إنجاز شيء ما¹.

3-2-نشأة الأفعال الكلامية:

ارتبطت الأفعال الكلامية، في بداياتها بدراسة القضايا المنطقية في إطار دراسة أقسام الكلام مع الفلاسفة اليونانيين، وبخاصة أرسطو، حيث تم التمييز بين مجموع القضايا التي تنطبق عليها خاصية الصدق والكذب، والصيغ الخبرية التي تميزت عن الصيغ الأخرى كالأمر والنهي²...

وفي العصر الحديث، وتحديداً عند "كانط" وقعت الصيغة الخبرية تحت طائلة نقد مؤداه أن هناك جملاً لها هذه الصيغة، لكنّها لا تقبل الصدق والكذب وأنها بالتالي تخرج من محال المنطق والفلسفة، ونتيجةً لهذا النقد تكون الاتجاه الوضعي الذي عمل على إزاحة جزء كبير من الجمل التي تقبل الصدق والكذب³.

أما في العصر الحديث فقد تطور مفهوم أفعال الكلام على يدي عالمين وهما: "أوستين" الذي يُعدُّ مؤسس هذه النظرية، وجاءت كردة فعل لأصحاب "الوضعية المنطقية" الذين كانوا يعتبرون أن اللغة وظيفة واحدة تنحصر في رسم ووصف وقائع العالم وصفاً يكون إما صادقاً، أو كاذباً، وأطلق "أوستين" على هذا المصطلح "المغالطة الوصفية فدور اللغة في نظره لا ينحصر في نقل الإخبار ووصف الوقائع وتوصيل المعلومات إلى المتلقي عن طريق علامات صوتية، بل إنّ هناك أفعالاً تنجز في الواقع وتبدل قناعات الأفراد واعتقاداتهم بمجرد التلفظ بها، حيث اعتبر هذا الفيلسوف أن "إحداث التلفظ هو إنجاز لفعل وإنشاء لحدث".

وبناء على ذلك، ميّز "أوستين" نوعين من الأفعال الكلامية⁴:

1. الأفعال التقريرية (Acte Constatif): وهي أقوال وأفعال خاضعة لمعيار الصدق والكذب مثل الملفوظ: أكتب الدرس فهو ملفوظ إما صحيح أو خاطئ، وتحقيق الفعل مستقل تماماً عن الجملة، وبالتالي يصبح هذا الملفوظ تقريرياً.

2. الأفعال الإنجازية أو الإنشائية (Acte Performatif) : وهي أقوال أو أفعال مرهونة ببعض شروط النجاح التي تحقق الفعل الذي تسميه أي إنجاز ما قيل عن طريق

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص40.

2- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص191.

3- نعمان بوقرة، المرجع نفسه، ص191.

4- عيسى بربار، البعد التداولي في العملية التواصلية "شعر الأمير عبد القادر الجزائري أنموذجاً رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم تخصص لسانيات، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2016/2015، ص43.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

التلفظ فاللغة تشمل على أسئلة وعبارات التعجب وأوامر وتعابير خاصة بالوعود والأمنيات والترغيب والتشجيع والترهيب.

وعند سيرل: الذي يتفق "سيرل" مع أستاذه "أوستين" في كثير من القضايا الفلسفية واللغوية، فهو يرى أن كل ملفوظ لساني يعمل كفعل محدد (أمر، سؤال، وعد...) أي يساهم في إنتاج بعض الآثار، كما اعتبر أن المكون الأساسي للملفوظ الذي يمنحه قوته هو القوة الانجازية، وأنا حين نتلفظ بعبارة ما نقوم بأربعة أفعال:¹

التلفظ بالكلمات: وهو ما يسميه "الفعل التعبيري".

الفعل القضوي: ويتم ذلك بإسناد الكلمات إلى بعضها وإحالتها على مراجعها.

الفعل الغرضي: وهو الفعل الذي يحدد الطريقة التي تستعمل بها التعبير.

الفعل التأثيري: وهو يجسد النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال الانجازية السابقة على أفكار ومعتقدات المستمع.

كما ميز "سيرل" بين نوعين من الأفعال الكلامية وهما:²

الأفعال الكلامية المباشرة: وهو أن يتطابق فيه فعل القول مفهوم "أوستين" وفعل الإنشاء، أي أن تتطابق قوة الفعل الانجازية مراد المتكلم، أو أن يكون القول مطابق للقصد، أو كما يرى "ستانلي فنش توافق بين التراكيب والوظيفة التواصلية في كل جملة كالتقريبات والوعديات، والتوجيهات.

الأفعال الكلامية غير المباشرة: والتي يكون فيها القصد مضمّر غير صريح، بحيث يبذل القارئ فيه جهداً ليصل إلى مقصد المتكلم.

4- الاستلزام الحواري:

4-1 مفهوم الاستلزام الحواري:

أ- لغة:

الحوار في اللغة مشتق من مادة (ح و ر) و" الحُورُ : الرُّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ وَإِلَى الشَّيْءِ، حَارَ إِلَى الشَّيْءِ وَعَنهُ حَوْرًا وَمُحَارًا وَمُحَارَةً : رَجَعَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ"³ فالحوار في اللغة لا يخرج عن معنى الدوران والذهاب والرجوع إلى نفس النقطة، والتبادل.

الاستلزام: يعود الاستلزام إلى الجذر الثلاثي (ل ز م) حيث جاء في لسان العرب "لَزِمَ الشَّيْءُ يَلْزِمُهُ لَزْمًا وَلُزُومًا وَلَازِمَهُ مُلَازِمَةً وَإِلْزَامًا وَالتَّرَمَهُ وَأَلْزَمَهُ إِيَّاهُ فَالتَّرَمَهُ، وَرَجُلٌ لَزِمَهُ: يَلْزِمُ الشَّيْءَ فَلَا يَفَارِقُهُ"⁴ فالاستلزام في اللغة إذن بمعنى هو عدم المفارقة والحضور الدائم.

ب- اصطلاحاً:

¹- عيسى بربار، البعد التداولي في العملية التواصلية "شعر الأمير عبد القادر الجزائري أنموذجاً"، ص46.

²- عيسى بربار، المرجع نفسه، ص46.

³- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح و ر)، مجلد4، ص264.

⁴- ابن منظور، المرجع نفسه، مادة (ل ز م)، مجلد13، ص195.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

إن مصطلح الاستلزام الحواري من المصطلحات الحديثة التي ظهرت في الغرب ضمن عدد من المصطلحات المتعلقة بالدرس التداولي و"يشير المصطلح إلى المعاني المضمنة التي يقصد إليها المتكلم ويفهمها المستمع اعتمادا على الملفوظ مستعينا بعناصر السياق"¹.

ويعرف أيضا على انه: "لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه، ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية"²، ف المتكلم لا يصرح دائما بما يقصده من حديثه لان هناك حالات سياقية، تستدعي عدم التصريح والكلام المباشر، فأحيانا يُذكر المعنى مباشرة وأحيانا لا يذكر مباشرة، وإنما يفهم من دلالة ضمنية تلميح، تعريض كناية... إلخ.

4-2-نشأة الاستلزام الحواري:

يعد الفيلسوف "بول" غرايس" رائد هذه النظرية، فقد اهتم بالجانب التداولي في الخطاب، وجاء بأفكار جديدة حول التخاطب و التحوار خاصة، وذلك بعد نشره بحثا في سنة 1967 عنوانه "المعنى" (meaning)، والذي كان له صدى كبيرا في الساحة النقدية، حيث عمل على إبراز دور الاستدلال (inference) في التخاطب و أهميته و دور الدلالة العقلية كذلك³.

و "في مقال آخر له نشره سنة 1975 عنوانه "منطق المحادثة" قسم الدلالة إلى قسمين، دلالة طبيعية و دلالة غير طبيعية، و تحدث عن كيفية إنتاج الخطاب و تأويله تأويلا غير تواضعي تحديدا، كما تناول مفهومين مهمين هما الاستلزام الخطابي و مبدأ التعاون"⁴.

"ويرى بول غرايس (P. Grice) أنّ السبب في تواصل البشر، بعضهم مع بعض تواصلًا مناسبًا، يرجع إلى اتسامهم فطريا بالميل إلى مساعدة الآخرين، ومعاونتهم.

فمبدأ التعاون عنده يجعل الحوار يتم" بطريقة مثلى قائمة على ما يلزم من التعاون والفاعلية والعقلانية وهو السبيل الكفيل بجعل المتحاورين يبلغون مقاصدهم، لذا فأى انتهاك لها كليا أو جزئيا) يفضي إلى اختلال العملية التخاطبية برمتها"⁵

ولقد كانت نقطة البدء عند غرايس هي أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون¹، لذلك ركز في تحديده للدلالة

¹ - إيمان عطية شعبان، الاستلزام الحواري بين الرؤية الغربية الحديثة ورؤية التراث العربي، مجلة بحوث كلية الآداب، المجلد 32، العدد 1، 2021، ص1.

² - سامية محصول، الاستلزام الحواري في القرآن الكريم آيات من سورة مريم أنموذجًا، مجلة اللغة العربية وآدابها، بوزريعة الجزائر، ديسمبر 2017، ص25.

³ - ريمة كعبش، نظرية الاستلزام الحواري (المفهوم والمبادئ) مجلة الخليل في علوم اللسان، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، المجلد 1، العدد 1، 2021، ص63.

⁴ - ريمة كعبش، المرجع نفسه، ص63.

⁵ - عزيز عز الدين، ظاهرة الاستلزام الحواري في التراث اللغوي العربي والدرس اللساني الحديث دراسة (تأصيلية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص لسانيات واللغة العربية، جامعة باتنة 1 (الحاج لخضر)، الجزائر، 2020، ص43.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

غير الطبيعية على القصد من الكلام والبحث عن نوايا المتكلم الحقيقية وكيفية فهم المستمع لهذه النوايا من خلال التوصل اللغوي بينهما²

"فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يُقال (What is said)، وما يقصد (What is meant) فما يُقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية (Face values)، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على أنّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أن يُقيم معبراً بين ما يحمله القول من معنى صريح (Explicit meaning) وما يحمله من معنى متضمن (Inexplicit meaning)، فنشأت عنده فكرة الاستلزام"³.

3-4- مبادئ الاستلزام الحوارية:

تقوم عملية الحوار على مبادئ تداولية عدة، كل مبدأ منها يضم مجموعة من القواعد التي تضبط عملية التخاطب، ومن هذه المبادئ (مبدأ التعاون) و (مبدأ التأدب) و (مبدأ التواجه)، و(مبدأ التأدب الأقصى)، و(مبدأ التصديق).

أ- مبدأ التعاون Principle cooperative :

إن بحث "غرايس" ومحاولته لإيجاد تفسير منطقي وإجابات لأسئلة، طالما شغلت باله من قبيل: كيف يمكن للمرء أن يقول شيئاً وهو يقصد شيئاً آخر؟ ثم كيف يمكن للمتلقي أن يسمع شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟، هي التي أوصلته إلى وإيجاد ووضع مبدأ حوارية عام سماه "بمبدأ التعاون" يتشارك ويتعاون فيه المتكلم والمخاطب، لتسهيل وإنجاح عملية التخاطب ويشتمل هذا المبدأ على أربعة مبادئ فرعية، ولصياغته "ينبغي أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يطلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة، تحذوك غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه، أنت ملتزم بأحدهما في لحظة معينة، أي يهدف هذا المبدأ إلى إيجاد التعاون بين المتكلم والمخاطب لتحقيق الهدف المرجو من الخطاب، وقد يكون هذا الهدف محدداً قبل دخولهما في عملية التخاطب أو يحصل تحديده أثناء هذه العملية"⁴.

وبعد أن حدد "غرايس" مبدأ التعاون العام وشرحه قام بتفريعه إلى أربعة قواعد وأطلق عليها اسم القواعد الحوارية، وهي قاعدة الكم، وقاعدة الكيف، وقاعدة المناسبة، وقاعدة الطريقة:⁵

1- عزيز عز الدين، ظاهرة الاستلزام الحوارية في التراث اللغوي العربي والدرس اللساني الحديث دراسة (تأصيلية)، ص44.

2- ريمة كعبيش، نظرية الاستلزام الحوارية (المفهوم والمبادئ)، ص63.

3- عزيز عز الدين، ظاهرة الاستلزام الحوارية في التراث اللغوي، العربي والدرس اللساني الحديث دراسة (تأصيلية)، ص44.

4- ربوار عبد الله خطاب، مبادئ الاستلزام الحوارية في رواية هروب نحو القمة لـ أحمد الزاويتي على ضوء قواعد غرايس، مجلة كلية المعارف الجامعة، جامعة سوران، كردستان، العراق، المجلد 33، العدد3، 2022، ص133.

5- ربوار عبد الله خطاب، مبادئ الاستلزام الحوارية في رواية هروب نحو القمة لـ أحمد الزاويتي على ضوء قواعد غرايس، ص133.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

أ- قاعدة الكم Quantity: ترتبط هذه القاعدة بكمية المعلومات التي يجب تقديمها في عملية التخاطب لتكون بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

ب- قاعدة الكيف Quality: وترتكز على الصحة أو الصدق، فلا تقل ما تعلم خطأه، أو تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك عليه دليل.

ج- قاعدة المناسبة Relation: وتتعلق بمقولة: "اليناسب مقالك مقالك مقامك".

د- قاعدة الطريقة Manner: وأساسه "كن واضحاً وموجزاً ومرتبياً".

2- مبدأ التهذيب: وهو المبدأ التداولي الثاني الذي يبنين عليه الحوار، و"قد أوردته روبين لا يكوف (Robin Lakoff) في مقالتها الشهيرة "منطق التأدب" ويصاغ هذا المبدأ على النحو الآتي: "لتكن مؤدباً". ويقضي بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ"¹. وقد فرغ هذا المبدأ إلى ثلاث قواعد:²

أ- قاعدة التعفف: (Formality) وتوجب هذه القاعدة على المتكلم أن لا يفرض لا نفسه على المخاطب.

ب- قاعدة التشكيك لتجعل المخاطب يختار بنفسه: وتقضي هذه القاعدة بأن يتجنب المتكلم أساليب التقرير، ويأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان متشككا في مقاصده، بحيث يترك لمخاطبه مبادرة اتخاذ القرارات كأن يقول له مثلا: "ربما ترغب في قراءة هذه الرواية"، أو "من المفيد جدا قراءة هذه الرواية"، عوض القول: "يجب عليك قراءة هذه الرواية".

ج - قاعدة التودد لتظهر الود المخاطب: وتوجب هذه القاعدة على المتكلم أن يعامل المخاطب معاملة النظير للنظير ولا تفيد هذه المعاملة إلا إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المستمع أو في مرتبة مساوية له.

وقد ادعت "لايكوف" أن قواعد التأدب كلية في طبيعتها وعددها، بحيث تأخذ بها كل المجتمعات البشرية، كما تأخذ بها كل الجماعات اللغوية داخل المجتمع الواحد. أما ما نشاهده من اختلاف في التأدب، فلا يتعلق إلا بترتيب هذه القواعد فيفضل بعضها على بعض هكذا إذن يتضح أن "مبدأ التأديب" الذي اقترحه "لايكوف" يفضل "مبدأ التعاون الذي قال به غرايس"، على اعتبار أنه يجمع بين الجانبين التبليغي والتهذيبي من الخطاب بالإضافة إلى أنه يتفرع إلى قواعد تنظم هذا الجانب ويفتح باب ردّ التبليغ إلى التهذيب³.

3- مبدأ التواجه: المبدأ الثالث الذي ينضبط به الحوار، وهو مبدأ تداولي ورد عند كل من "براون" (P.Brown) ولفنسون (S.Levenson) في عملهما المشترك الكليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التأدب ويصاغ على النحو الآتي: "لِتَصُنْ وجه غيرك".

1- العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص118.

2- العياشي أدراوي، المرجع نفسه، ص118.

3- العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص119.

الفصل الاول: النظرية اللسانية التداولية

يقوم هذا البند على مفهومين اثنين مفهوم الوجه الذي هو عبارة عن ذات الشخص التي تتحدد بها قيمته الاجتماعية، وهو على نوعين، وجه سلبي ووجه إيجابي؛ أما السلبي فيتحدد في دفع الاعتراض، وأما الثاني فيتمثل في جلب اعتراف الغير، وعليه يكون الحوار هو المجال الذي يسعى فيه المتحاور إلى حفظ وجهه بحفظ وجه مخاطبه¹.

4- مبدأ التأدب الأقصى: الذي عده "جورج ليتش" (Leech.G) في كتابه "مبادئ التداوليات مكملًا ومتممًا لمبدأ التعاون، ويورده في صورتين إحداهما سلبية والأخرى إيجابية.

وتتفرع عن المبدأ أعلاه قواعد ذات صورتين إيجابية وسلبية يرى "ليتش" أنها تجنبنا الوقوع في النزاع أو ما يمنع التعاون، وهذه القواعد هي²:

قاعدة اللباقة : ومفادها (قلل من خسارة الغير و أكثر من ربح الغير).

قاعدة السخاء : ومضمونها(قلل من ربح الذات وأكثر من خسارة الذات).

قاعدة الاستحسان : ومفادها (قلل من ذم الغير وأكثر من مدح الغير).

قاعدة التواضع: ومضمونها (قلل من مدح الذات وأكثر من ذم الذات).

قاعدة الاتفاق: وتنص على (قلل من اختلاف الذات والغير وأكثر من اتفاق الذات

والغير).

قاعدة التعاطف :ومفادها (قلل من تنافر الذات والغير وأكثر من تعاطف الذات

والغير).

1 -العياشي أدرابي، الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى ، ص119

2 -العياشي أدرابي، المرجع نفسه ، ص120.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في

المنهاج

المبحث الاول : عناصر التخاطب

المبحث الثاني : أغراض التخاطب

المبحث الثالث : الخطاب و سياق الموقف

المبحث الرابع : المعاني الشعرية والمعاني

الخطابية

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

النظرية التداولية هي مبحث قديم في ثوب جديد، له أصوله وجذوره في مؤلفات العرب القدامى، و إن المتصفح لكتاب القرطاجني "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" ليجد فيه الكثير من جوانب النظرية التداولية، بمفهومها الحالي في العديد من القضايا المبنوثة في ثنايا هذا الكتاب، وسيكون هذا الفصل عرض لبعض القضايا التي طرحها "القرطاجني" في كتابه والتي هي من صميم الدرس التداولي، وتحليل لما ورد فيها من خلال نماذج مختارة لبعض نصوصه.

المبحث الاول : عناصر التخاطب 1- المتكلم:

يعد المتكلم أول ركن في أركان التخاطب ونقطة البداية التي ينطلق منها أي خطاب، ولقد اهتم "حازم القرطاجني" كثيرا بالمتكلم أو المبدع أو الشاعر في منهاجه، ومنحه عناية كبيرة، فاهتم بإبداع المتكلم في نظم كلامه والرسالة التي يريد إيصالها، حيث يقول: "ولا يخلو الإبداع في المبادي من أن يكون راجعاً إلى ما يقع في الألفاظ من حسن مادة واستواء نسج ولطف انتقال وتشاكل اقتران وإيجاز عبارة وما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في الألفاظ، أو إلى ما يرجع إلى المعاني من حسن محاكاة ونفاضة، مفهوم وتطبيق مفصل بالنسبة إلى الغرض وما جرى مجرى ذلك، مما يستحسن في المعاني، أو إلى ما يرجع إلى النظم من إحكام بنية وإبداع صيغة، ووضع وما ناسب ذلك مما يحسن في النظم، أو إلى ما يرجع إلى الأسلوب من حسن منزع، ولطيف منحى ومذهب وما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في الأساليب"¹.

فالقرطاجني هنا حدد بدقة ما يجب أن يتوفر في الخطاب، ليكون صاحبه مبدعاً وهو أن يكون خطابه محكم النظم مترابطاً متسلسلاً موجزاً العبارات ، يسهل الانتقال فيه من فكرة لأخرى.

وتحدث القرطاجني في موضع آخر، وفصل في تحديد مقاصد الخطاب وأغراضه المختلفة، حيث يقول: "فمن ذلك طريقة المدح، ويجب فيها السمو بكل طبقة من الممدوحين إلى ما يجب لها من الأوصاف، وإعطاء كل حقه من ذلك، وأما النسيب فيحتاج أن يكون مستعذب الألفاظ، حسن السبك حلو المعاني لطيف المنازع سهلاً غير متوعر، وينبغي أن

¹-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقويم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986 ، ص309.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

يكون مقدار التغزل، قبل المدح قصداً لا قصيراً مخللاً ولا طويلاً مملاً، وأما الرثاء فيجب أن يكون شاجي الأقاويل، مبكي المعاني مثيراً للتباريح، وأن يكون بألفاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب ملذوذ، وأن يستفتح فيه بالدلالة على المقصد ولا يصدر بنسيب لأنه مناقض لغرض الرثاء"¹.

فالشاعر أو المبدع منتج الخطاب، لابد أن يعرف ما يحتاجه كل غرض من الأغراض وكيف يستخدمه ، فالمدح مثلا يحتاج إلى رفع كل ممدوح إلى الدرجة التي يستحقها، وعدم المبالغة في المدح، والرثاء لابد أن أي يكون بكلمات وعبارات بسيطة ومؤثرة في الوقت ذاته في نفس المتلقي، فكل غرض من الأغراض قواعد التي تحكمه.

وفي حديثه عن قصدية المتكلم والغرض الخطابي، يقول أيضا: "وملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم من جميع جهاته، فإذا كان مقصده الفخر، كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب، ما يكون فيه بهاء وتفخيم، وإذا كان المقصد النسيب، كان الوجه أن يعتمد منها، ما يكون منها فيه رقة وعذوبة من جميع ذلك، وكذلك سائر المقاصد. فإن طريقة البلاغة فيها أن تفتتح بما يناسبها ويشبهها من القول من حيث ذكر"².

ويتضح من خلال هذا القول أن "حازم القرطاجني" كان واعياً لدور مقاصد المتكلم في بناء القصيدة، فالشاعر يجب أن يفتتح وينهي قصيدته بألفاظ وعبارات متناسبة مع غرضه الذي بنا لأجله القصيدة ، والقصدية من أهم عناصر التداولية التي تختص بدراسة مقاصد المتكلم وأغراضه من كلامه.

ومن ناحية أخرى تمكّن "القرطاجني" من إظهار البعد النفسي الذي هو انعكاس لشخصية المبدع، من خلال تركيزه على ثنائية البسط والقبض، التي شكلت إحدى الأسس النفسية التي قام عليها الكتاب، أي ما يحدثه الخطاب في نفس المتلقي، وكيف استقبله هل احدث مسرة وانطباعا حسنا، أم ترك شعورا سيئا ونفورا، وهل تحقق الإقناع والإفادة في ذلك الخطاب أم لم يتحققا.

ويقول في موضع آخر في حديثه عن المتكلم(الشعراء) ، حيث أكد على أن الشعراء ليسوا على درجة واحدة من البراعة في نظم الشعر، حيث وضع معايير ومجموعة من القوى ،ورتبها من العام إلى الخاص، ذكرا فيها مراحل تكون الخطاب، التي إذا عرفها وفهمها المؤلف أو المتكلم، صارت له قوة في صياغة الكلام على أحسن وجه، وتمكن من الوصول إلى مقاصد النظم وأغراضه وحسن التصرف فيه بكل سهولة، يقول القرطاجني:³

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص348.

2- حازم القرطاجني، المرجع نفسه ، ص310.

3- حازم القرطاجني، المرجع نفسه ، ص200.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

الأولى: القوة على تشبيه ما لا يجري على السجية ولا يصدر عن قريحة بما يجري على السجية ويصدر عن قريحة.

الثانية: القوة على تصور كليات الشعر والمقاصد والمعاني الواقعة فيها.

الثالثة: القوة على تصور صورة للقصيدة تكون بها أحسن ما يمكن.

الرابعة: القوة على تخيل المعاني بالشعور بها واجتلابها من جميع جهاتها.

الخامسة: القوة على ملاحظة الوجوه التي بها يقع التناسب بين المعاني.

السادسة: القوة على التهدي إلى العبارات الحسنة الوضع والدلالة على تلك المعاني.

السابعة: القوة على التحيل في تسيير تلك العبارات متزنة بين مبادئها ونهاياتها.

الثامنة: القوة على الالتفات من حيز إلى حيز والخروج منه إليه والتوصل به إليه.

التاسعة: القوة على تحسين وصل بعض الفصول والأبيات بطريقة جيدة.

العاشرة: القوة المانزة حسن الكلام من قبيحه بالنظر إلى نفس الكلام وموقعه.

فهذه القوى حسب "القرطاجني" هي التي تكسب الشاعر أو المتكلم قوة في الإبداع، وهي أيضا معيار المفاضلة بين المتكلمين.

- وجملة القول أن هذه القواعد أو القوى تصب جميعها في هذه الأمور:¹
- الطبع، والتهيرؤ النفسي، وانبعاث شهوة القول.
- التأسي بسنن الشعر والشعراء، وامتنال مقاصد القول وأغراضه، وما يؤدي ذلك معنى ومبنى.

- استحضار المقام ومقتضياته، واستشعار أوضاع المخاطبين.
 - حضور البال، وكمال العقل، ولزوم العدل إزاء التداعيات الذهنية.
 - امتلاك قوى إدراكية قادرة على تصوّر اهتداءات الخاطر، ومناقل الفكر.
- وعلى أساس هذه القوى أيضًا جعل القرطاجني مراتب للشعراء، وقسم كل مرتبة إلى ثلاث طبقات، حيث يقول: "فأما المرتبة الأولى فتشتمل على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى: الذين كان حضهم من هذه القوى مقاربا للكمال. الطبقة الثانية: الذين كان حضهم من هذه القوى متوسطا. الطبقة الثالثة: أفساطهم فيها قليلة وغير عامة في جميعها. والمرتبة الثانية: من له أدنى تخيل في المعاني وبعض دربة في إيراد عباراتها متزنة، وإن لم يكن له في القوى الباقية إلا ما يعتد به، فنظم هذا منحط عن نظم من استكمل ما نقصه ومرتفع عن كلام من لا تخيل له في المعاني ولا دربة بالتأليف. والمرتبة الثالثة وهم الذين لا ينتسبون إلى هذه الصناعة بغير الدعوى: فمنهم طائفة لا تنتقص ولكن تتلصص و تتحيل بالإغارة على المعاني، والنمط الثاني لا يتخيل ولا يتحل ولكن يغير

¹ - عبد العزيز بن عبد الله الخراشي، مادة المعنى في نقد الأدب عند العرب، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، مصر، د م ، د ع، 2019، ص328.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

وغير، والنمط الثالث وهم شر العالم نفوسا وأسقطهم هممًا وهم النقلة للألفاظ والمعاني"¹.

فأصحاب الطبقة الأولى عند "القرطاجني" هم الشعراء الحقيقيون ومن يستحقون لقب شعراء، أما أصحاب الطبقة الثالثة، فهم ليسوا شعراء أصلاً، وما بين الطبقتين هم شعراء بالنسبة للطبقة الثالثة فقط.

ويتطرق "القرطاجني" إلى فكرة أخرى وهي التأثير في المتلقي ودور المتكلم في صياغة عباراته، حيث يقول: "وبقوة التهدي إلى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات أن تكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة. فالاستعذاب فيها بحسن المواد والصيغ والائتلاف والاستعمال المتوسط، والطلاوة تكون بائتلاف الكلم من حروف صقيلة وتشاكل يقع في التأليف ربما خفي سببه وقصرت العبارة عنه. والجزالة تكون بشدة التطالب بين كلمة وما يجاورها وبتقارب أنماط الكلم في الاستعمال. وسائرهما يتعلق بالألفاظ المفردة من الشروط المذكورة التي تطرد الكلم بوجودها فيها أحسن اطراد"².

فهذا في رأي "القرطاجني" ما يجب أن يهتم به المتكلم ويعمل على إنجازه ليصل إلى البعد التأثيري في المتلقي ولا يكون ذلك إلا من خلال اختيار المواد اللفظية اللائقة والابتعاد عن القبيح منها، وأن تكون كلماته على قدر كبير من الجزالة بحيث يستدعي بعضها بعضاً ويتعلق بعضها مع بعض، فينجح بذلك في إيصال رسالته على أكمل وجه من جهة، والتأثير في المتلقي من جهة أخرى.

ويقول في موضع آخر مبيناً مدى تأثير الكلام في المتلقي، وما يحدثه في النفس: " فلما كان القول القياسي قد لزمه الطول والتكرار لم يكن لهم بد، فيما قصدوا به البلاغة من كلامهم، من أن يعدلوا مقداره ويميطوا تكراره. فإنّ الكلام إذا خفّ واعتدل حسن موقعه من النفس، وإذا طال وثقل اشتدت كراهة النفس له"³.

إن حديث "القرطاجني" هنا عن تأثير الخطاب في المتلقي يتقاطع مع ما ذكره علماء التداولية في وضعهم لقواعد الاستلزام الحوارية، ويقول في موضع آخر: "وليس يُحْمَدُ في الكلام أيضاً أن يكون من الخفة بحيث يوجد فيه طيش، ولا من القصر بحيث يوجد فيه انبثار، لكن المحمود من ذلك ما له حظ من الرصانة لا تبلغ به إلى الاستثقال، وقسط من الكمال لا يبلغ به إلى الإسام والإضجار. فإنّ الكلام المتقطع الأجزاء المنبتر التراكيب غير ملذوذ ولا مستحلى، وهو شبه الرشقات المتقطعة التي لا تروي غليلاً. والكلام المتناهي في

¹ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 201.

² - حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص 225.

³ - حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص 228.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

الطول يشبه استقصاء الجرع المؤدي إلى الغصص، فلا شفاء مع التقطيع المخل ولا راحة مع التطويل الممل، ولكن خير الأمور أوساؤها"¹

فهذه المبادئ نجدتها في نظرية الاستلزام الحوارية في مبدأ التأدب الأقصى الذي عده "جورج ليتش" مكملاً لمبدأ التعاون.

كما تطرق "القرطاجني" في سياق آخر إلى الحديث عن التخييل ومدى قوته وتدخله في الحدث الكلامي و الإبداع بشكل خاص و المتغلغلة في كل تفاصيله فهي التي يستطيع المبدع من خلالها: " تخيل المعاني بالشعور بها و اجتلابها من جميع جهاتها"²

ويقارن "القرطاجني" في موضع آخر شبه حال الشاعر الذي تنتظم صورته في ذاكرته، بحال ناظم الجواهر الذي ينظم أنواعاً مختلفة من الجواهر، في قلادة واحدة فعندما يعرف المكان المناسب لكل جوهرة فسيكون من السهل عليه وضع كل جوهرة في مكانها المناسب، ولكن إذا كانت جواهره مبعثرة وغير منتظمة فسيختلط الأمر عليه وقد لا يجد ضالته.

يقول القرطاجني: " فأما القوة الحافظة فهي أن تكون خيالات الفكر، منتظمة، ممتازا بعضها عن بعض محفوظاً كلها في نصابه، فإذا أراد أن يقول غرضاً ما في نسيب أو مديح أو غير ذلك، وجد خياله اللائق به قد أهبطه له القوه الحافظة، يكون صور الأشياء مترتبة فيها، على حد ما وقعت عليه في الوجود، فإذا أجال خاطره في تصورهما فكأنه اجتلى حقائقها. وكثير من خواطر الشعراء تكون معتكرة الخيالات غير منتظمة التصور، فإذا أجال خاطره في أوصاف الأشياء وخيالاتها اشتبهت عليه واختلطت وأخذ منها غير ما يليق بمقصده، وبالموضع الذي يحتاج فيه إلى ذلك. وكان المنتظم الخيالات كالناظم الذي تكون عنده أنماط الجواهر مجزأة محفوظة المواضع عنده، فإذا أراد أي حجر شاء على أي مقدار شاء عمد إلى الموضع الذي يعلم أنه فيه فأخذه منه ونظمه. وكذلك من كانت خيالاته وتصويراته منتظمة متميزة فإنه يقصد بملاحظة الخاطر منها إلى ما شاء فلا يعدوه والمعتكر الخيالات كناظم تكون جواهره مختلطة، فإذا أراد حجراً على صفة ما تعب في تفتيشه، وربما لم يقع على البغية، فنظم في الموضع غير ما يليق به، والمعتكر الخيالات في هذه الحال أجدد بطول السدر لكون الأشياء التي في الحس أوضح من التي في التصور و الذهن"³

فما أراده القرطاجني هنا أن الذاكرة هي جوهر العملية التخيلية الشعرية الذي لا يمكن أن تتم بدونها. مع وجود عناصر أخرى مكملة وخادمة لها تجتمع وتتضافر في ما بينها لإنجاح العملية الإبداعية، وكلما كانت أفكار الشاعر وصوره منظمة ومرتبطة في ذهنه كلما سهل عليه استدعائها حسب ما يقتضيه الزمان والمكان المناسبين لها والعكس بالعكس، يقول جهاد شاهر المجالي: "إن مفهوم الذاكرة في التراث، كما وجدنا عند القرطاجني أشبه بمخزن

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص57.

2- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص 204.

3- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص42.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

ضخم يختزن فيه الشاعر مجمل قراءاته دون تدخل من الذاكرة في هذا المخزون من قريب أو بعيد، وهي على هذا النحو في تراثنا كما يقول جابر عصفور، ذاكرة سلبية، إلا أنها في المفهوم الحديث ذات وظائف بالغة الأهمية، فيذهب بعضهم إلى تشبيهها بالبئر العميق الذي يجذب إلى قاعه كل مشاهدات وقراءات وتجارب الشاعر لتتفاعل وتثري بعضها بعضاً من خلال المخيلة، أو القوة التخيلية على حسب تعبير المصطلح القديم عند القرطاجني .. ولا يجد بعض النقاد المحدثين أي مسوغ لفصل الخيال عن الذاكرة"¹

ويضيف الدكتور جهاد شاهر المجالي مؤكداً أن " ستيفن سبندر Spender". يرى أن الخيال ما هو إلا وظيفة من وظائف الذاكرة، وأن قدرتنا على التخيل ما هي إلا قدرتنا على تذكر تجاربنا التي مررنا بها وتطبيقها على موقف مختلف"². وهنا تكون ذاكرة الشاعر هي المعين الذي تنبثق من خلاله الصور.

وفي موضع آخر: "أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها ، أو تصور شيء آخر بها، انفعالا من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض"³ ففي هذا التعريف جعل من التخيل وسيلة للتواصل بين مبدع الشعر ومستقبله، وهذا التواصل بين المبدع والمستقبل هو عماد الصورة الفنية.

2-المتلقي:

يعد المتلقي أحد أركان العملية التخاطبية، بل أهم ركن فيها على الإطلاق، لكونه الطرف المحرك للعملية التواصلية في أي خطاب، فإليه ولأجله يُنتج النص أو الخطاب، و هو أيضا مشكل الخطاب، ومحل الشفرات اللغوية، ولقد اهتم "القرطاجني" كثيرا بالمتلقي وما يؤكد ذلك حديثه المستمر عنه في كل ثنايا الكتاب فهو لا يتطرق إلى مسألة إلا وكان المتلقي قطباً فيها، وقد أطلق عليه اسم "النفوس أو النفوس"، وتكررت هذه اللفظة في الكتاب ما يقارب 342 مرة، ومن المواضيع التي استحضر فيها "القرطاجني" المتلقي نذكر:

اهتم "القرطاجني" بالمتلقي من خلال اهتمامه بالتخيل حيث يعرفه بقوله: "فالتخيل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها ، أو تصور شيء آخر بها انفعالا من روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض"⁴.

ويعكس هذا الطرح عملية المشاركة التي يقوم بها السامع أثناء تلقيه الشعر . وقد صنف القرطاجني التخيل حسب ما تقتضيه المعاني، وما يقتضيه الأسلوب ، و ما يقتضيه

1- جهاد شاهر المجالي، دراسات في الإبداع الفني في الشعر: رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الأدبي والنقد الحديث، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص95.

2- جهاد شاهر المجالي، دراسات في الإبداع الفني في الشعر ، ص95.

3- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص89.

4- حازم القرطاجني، المرجع نفسه ، ص89.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

اللفظ ، وكذا ما يتطلبه النظم ، فالتخييل يستدعي التفاعل بين منتج الخطاب، والمتلقي، وبعبارة أوضح إن التخييل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بإثارة الصورة في مخيلة المتلقي، تقول الدكتورة ألفت كمال الروبي في كتابها نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين: " التأثير الذي يحدثه الشعر في مخيلة القارئ إنما هو تأثير يعتمد على ما تستدعيه الصورة التي يقدمها من خبرات سبق أن خبرها من الماضي"¹

من جهة أخرى ركز القرطاجني على القيمة الجمالية والمتجسدة في التخييل وأعطاه أهمية كبرى أكثر حتى من القيمة الأخلاقية، فالتخييل هو أساس الشعر. فالقرطاجني يهتم بكيفية تقديم المحتوى للمتلقي والتأثير عليه، حيث يقول: "إن الأقاويل الشعرية يحسن موقعها من النفوس، من حيث تختار مواد اللفظ وتنتقي أفضلها وتركب تركيب المتلائم المتشاكل، وتستقصي بأجزاء العبارات التي هي الألفاظ الدالة على أجزاء المعاني المحتاج إليها حتى تكون حسنة إعراب الجملة والتفاصيل عن جملة المعنى وتفصيله"².

ويرى الدكتور جابر عصفور أن "القرطاجني" محق في ما ذهب إليه لأنه: "مادام الشاعر يهدف إلى غاية لا تتعارض في النهاية مع معايير الأخلاق، التي يراد بها صلاح الفرد والجماعة، فمن المنطقي أن يترك التفاصيل في المحتوى الأخلاقي لعلم الأخلاق"³ كما يشترط إجادة انتقاء اللفظ للمعنى، فكلما كانت العبارات مختارة بعناية ومناسبة للمعاني كلما كان تأثيرها أعمق في المتلقي.

من جهة أخرى جعل القرطاجني التخييل عملية انحرافية تميز النصوص وتدفع المتلقي البحث عن المقصود حيث يقول: "ولما كان المقصود بالشعر إنهاض النفوس إلى فعل سيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما يخيل لها فيه من حسن أو قبح أو جلالة أو خسة، ويجب أن تكون موضوعات الشعر الأشياء التي لها انتساب إلى ما يفعله الإنسان ويطلبه ويعتقده"⁴. فالمبدع يسعى دائماً إلى إضفاء الغموض على خطابه و تلغيم مستويات النص وإخفاء المعنى ليكون غامضاً خارجاً عن أفق توقع، ليجعل بذلك من المتلقي يبحث عن المعنى المقصود.

فالتخييل حسب جابر عصفور من هذه الزاوية "عملية إيهام موجهة تهدف إلى إثارة المتلقي، مقصودة سلفاً والعملية تبدأ بالصورة المخيلة التي تنطوي عليها القصيدة والتي تنطوي- هي ذاتها -على معطيات بينها وبين الإثارة المرجوة علاقة الإشارة الموحية،

¹-ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، د ط ، 1984، ص114.

²- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص119.

³- جابر عصفور ، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط5، 1995، ص236.

⁴- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص106.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

وتحدث العملية فعلها عندما تستدعي خبرات المتلقي المخترنة والمتجانسة مع معطيات الصورة المخيلة¹

ففكرة "القرطاجني" هنا تتأسس على مبدأ القصدية الذي هو قوام فعل التخيل ، ذلك ان القصدية هي التي تتحكم في المتلقي بفضل التخيل الذي يدفع المتلقي إلى الإقبال على الفعل الجميل والنفور من الفعل القبيح.

كما اهتم القرطاجني بالخلفية المعرفية للمتلقي والتي بفضلها يستطيع فهم مقصد المتكلم حيث يقول: "ومن المتصورات ما يليق بحقيقة مقاصد الشعر المألوفة وأغراضه المتداولة وتصلح أن تورد فيها أوائل وثواني، ومنها ما لا يليق بها ولا يصلح فيها أن تورد أوائل ولكن تورد ثواني ... فالتى يصلح أن تورد أوائل وثواني هي ما تعلق المتصور فيه بشيء معروف عند الجمهور من شأنهم أن يرتاحوا إليه أو يكثرثوا له، كان ذلك الشيء مدركا بالحس أو بغيره والتي لا يصلح أن تورد أوائل وتورد ثواني هي . ما تعلق التصور فيها بحقيقة شيء لا تعم معرفته جميع الجمهور"².

فالقرطاجني هنا أدرك نقطة مهمة وهي معرفة الجمهور المتلقي، أي القاعدة المعرفية للقارئ أو المرجعية عند المتلقي أو العرف اللغوي وهل سيصل إليه المقصد الصحيح للمتكلم أم لا، فاستخدم في ذلك عبارة "معرفة الجمهور" وهي تتطابق مع الأعراف اللغوية في التداولية اللسانية.

ويقول في موضع آخر في حديثه عن المتلقي: "إن من المعاني ما يوجد مرتسمًا في كل فكر، ومتصورًا في كل خاطر، ومنها ما يكون ارتسامه في بعض الخواطر دون بعض ومن ما لا ارتسام له في خاطر وإنما تهتدي إليه بعض الأفكار"³

فمنتج الخطاب، لا بد أن يراعي خلفية المتلقي ويعرف مع أي جمهور هو يتعامل، لتتم عملية التخاطب على أكمل وجه.

كما اهتم القرطاجني بمبدأ الملائمة أي ملائمة المعاني للمتلقي، ولحال الجمهور حيث يقول: "ومن جهة مواقعها من النفوس، وكونها مما يستميل النفس أو ينفرها لكونها ملائمة لها أو منافرة أو بإيهام النفس ذلك بتخييل شعري أو إقناع خطابي وما يكون فيه معونة على تقوية ذلك"⁴

فالكلام عند القرطاجني لا بد أن يكون واضحًا بعيدًا عن الغموض ومنظما ومناسبا لسياق الحال لأن ذلك له تأثير كبير على المتلقي، وهو نفس ما نجده في مبدأ الملائمة في التداولية التي أكدت على ضرورة أن يتلاءم ما يقال مع ما يقصد وما يفهم من قبل المتلقي.

¹ - جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، ص161.

² - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدياء، ص22.

³ - حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص170.

⁴ - حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص17.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

ركز القرطاجني أيضا على تقديم الخطاب للمتلقي بالاعتماد على ذوق رفيع يحمل في جوهره مادة أصيلة غير بعيدة عن طبع المتلقي و مستوى تقبله. ويكون ذلك عن طريق المحاكاة حيث يقول : "فالمتصورات التي في فطرة النفوس ومعتقداتها العادية أن تجد لها فرحا أو ترحا أو شجوا هي التي ينبغي أن نسميها المتصورات الأصلية. وما لم يوجد ذلك لها في النفوس ولا معتقداتها العادية فهي المتصورات الدخيلة، فالمعاني المتعلقة بهذه الطرق الخاصة ببعض الجماهير لا تحسن في المقاصد العامة المألوفة التي ينحى بها نحو ما يستطيه الجمهور أو يتأثرون له بالجملة. فإذا استعملت فيها فإنها معيبة لكونها دخيلة في الكلام بحسب الغرض. وإنما تكون أصيلة في الشعر إذا كان غرض الكلام مبنيا على ذلك. فأما إذا لم يكن قصده بنية الكلام على تخيل ما لا يعرفه الجمهور ولا تتأكد علقته بالأغراض، ولكن يورد ذلك على سبيل التبعية على جهة من المحاكاة أو غير ذلك، فإن ذلك غير أصيل في الشعر، ويكون الكلام معيبا بذلك"¹.

أي أن الخطاب لا بد أن يكون قريبا من طبع المتلقي ومستوى تقبله ومألوفاً لدى الجمهور، وترى الدكتورة فاطمة عبد الله الوهبي أن "على القائل أن يعرف كيف يقدم المألوف، و كيف يتأتى للمستغرب ويعيد تقديمه للمقول له، و يفاجئه و يحقق الهزة الجمالية التي تحركه نحو هذا الاستلاب الجمالي"².

فالشاعر أو المؤلف أو المتكلم لا بد أن يكون مبدعاً في تشكيل الخطاب بحيث يقدم للمتلقي/ القارئ توليفة فنية محكمة تتم عن ذكائه ، ويأتي دور المتلقي في أن يكتشف سر جماليتها و يفككها لكي تتحقق الهزة التأثيرية و التي هي في الأصل هدف جمالي. فالمحاكاة إذن هي التي تجعل المؤلف مستغربا و بالتالي مؤثرا، حيث يقول القرطاجني: "إن أفضل الشعر ما حسنت محاكاته و هيأته و قويت شهرته أو صدقه ... الخ"³، فما أراده القرطاجني هو إعادة سبك و نظم المؤلف المعهود بطريقة جديدة، حيث تقول فاطمة عبد الله الوهبي: "فحازم يحوم بها [المحاكاة] حول المؤلف و المعتاد و إعادة تقديم العالم و الأشياء من زاوية لم تعهده"⁴ فقد اهتم القرطاجني هنا بالشروط أو الحدود التي يجب أن يلتزم بها المتكلم حتى يفهم المتلقي مقصده فهماً صحيحاً.

3- الخطاب:

اهتم "حازم القرطاجني" كثيرا بالخطاب ووضع بعض القواعد والشروط لكتابة نص على أصوله، حيث يؤثر في المتلقي ولا ينفر منه حيث يقول: "يجب على من أراد جودة التصرف في المعاني وحسن المذهب في اجتلابها والحنق بتأليف بعضها إلى بعض أن

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص22.

2- فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى عند حازم القرطاجني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط1 2002، ص237.

3- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص22.

4- فاطمة عبد الله الوهبي ، نظرية المعنى عند حازم القرطاجني ، ص237.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

يعرف أن للشعراء أغراضاً أول هي الباعثة على قول الشعر. وهي أمور تحدث عنها تأثيرات وانفعالات للنفوس، لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين. فالأمر قد (يبسط) النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء ويقبضها بالكآبة والخوف. وقد يبسطها أيضاً بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع. وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الأمر من مبدأ سار إلى مآل غير سار. وإذا ارتيح للأمر من جهة واكثر له من جهة على نحو ما... جرى مجرى ذلك كانت أقوالاً شاجية¹. فالقرطاجني يرى أن العلم بأغراض الخطاب ضرورة لا بد منها ليحسن التصرف فيها ووضعها واستخدامها في مقامها الصحيح والمناسب لها.

وقد وضع القرطاجني أربعة قواعد لترتيب وتنظيم الخطاب حيث يقول:²
والكلام في ما يرجع إلى ذوات الفصول وإلى ما يجب في وضعها وترتيب بعضه من بعض يشتمل على أربعة قوانين .

القانون الأول : في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها .

القانون الثاني : في ترتيب الفصول والموالات بين بعضها وبعض

القانون الثالث : في ترتيب ما يقع في الفصول

القانون الرابع : في ما يجب أن يقدم في الفصول وما يجب أن يؤخر فيها وتختتم به.

فالقرطاجني يرى أن ترتيب الفصول وانتقاء جوهرها يجب أن يكون متناسباً مع السمع والفهم، منظمة ومرتبة ترتيب منطقي، بحيث لا يختلط بعضها ببعض، وأيضاً أن تكون تلك الفصول مما يهتم به المتلقي ويتوق إلى سماعه.

ويرى الدكتور "محمد خطابي" أنّ القرطاجني هنا تطرق إلى مبدأ تداولي وهو الترتيب الذي يحترم الأهم فالأهم ومعنوي يتفرع إلى علاقات سبق الإشارة إليها.

وتحدث القرطاجني في موضع آخر عن تعالق العبارات والمعاني ببعضها البعض بحيث يكمل بعضها الآخر من أجل الوصول إلى من هذا الخطاب إلي المتلقي بصورة واضحة جلية بعيدة عن أي غموض حيث يقول: "ثم يقسم المعاني والعبارات على الفصول ويبدأ منها بما يليق بمقصده، أن يبدأ به ثم يتبعه من الفصول بما يليق أن يتبعه به ويستمر هكذا على الفصول فصلاً فصلاً ، ثم يشرع في نظم العبارات التي أحضرها في خاطره منتثرة فيصيرها موزونة، إما بأن يبدل فيها كلمة مكان كلمة مرادفة لها، أو بأن يزيد في الكلام ما تكون لزيادته فائدة فيه، أو بأن ينقص منه ما لا يخل به أو بأن يعدل من

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 11.

2- حازم القرطاجني ، المرجع نفسه، ص288.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

بعض تصاريف الكلمة إلى بعضها، أو بأن يقدم بعض الكلام ويؤخر بعضاً، أو بأن يرتكب في الكلام أكثر من واحد من هذه الوجوه¹ فالمتكلم أو الشاعر لا بد أن يختار وينتقي الألفاظ والعبارات الواضحة، الجلية البعيدة عن اللبس.

وفي موضع آخر نجد "القرطاجني" قد وضع معايير حدد بها الخطاب الجيد وميز بين الشعر والخطاب وما يتطلبه كل منها حيث يقول: "وإنما صح أن تقع الأقاويل الصادقة في الشعر، ولم تصح أن تقع في الخطابة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق، لأن ما تتقوم به صنعة الخطابة، وهو الإقناع، مناقض للأقاويل الصادقة، إذ الإقناع بعيد من التصديق في الرتبة. والشعر لا يناقض اليقين ما يتقوم به وهو التخيل، فقد يخيل الشيء ويمثل على حقيقته. فلذلك وجب أن يكون في الكلام المخيل صدق وغير صدق. ولا يكون في الكلام المقنع ما لم يعدل به إلى التصديق إلا الظن الغالب خاصة، والظن مناف لليقين.

فالشعر إن قد تكون مقدماته يقينية ومشهورة ومظنونة. ويفارق البرهان والجدل والخطابة بما فيه من التخيل والمحاكاة، ويختص بالمقدمات المموهة الكذب. فيكون شعرا أيضاً ما هذه صفته باعتبار ما فيه من المحاكاة والتخيل، لا من جهة ما هو كاذب، كما لم يكن شعرا من جهة ما هو صدق، بل بما كان فيه أيضاً من التخيل. فلاختصاص الشعر باستعمال المحاكاة في المقدمات الكاذبة ما يقصر على النسبة إليه كل كلام مخيل مقدماته كاذبة، فيقال: كلام شعري إذ هو المختص باستعمال المقدمات الكاذبة من حيث يخيل فيها أو بها لا من حيث هي كاذبة. وإن شارك جميع الصنائع في ما اختصت به، وكان له أن يخيل في جميع ذلك، فالتخيل هو المعتبر في صناعته، لا كون الأقاويل صادقة أو كاذبة². والخطاب يتطلب الصدق وتوظيف المنطق، لأنه يهدف إلى الإقناع، أما الشعر فهو يتطلب قوة التخيل وبراعة الشاعر في الكذب والتلاعب بالكلمات وذكائه في نظم ذلك الشعر، وهذا أفضل الشعر عنده، حيث يقول: "أفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته، وقويت شهرته أو صدقه، أو خفي كذبه، وقامت غرابته. وإن كان قد يعد حدقا للشاعر اقتداره على ترويح الكذب وتمويه على النفس وإعجابها إلى التأثر له قبل، بأعمالها الروية في ما هو عليه. فهذا يرجع إلى الشاعر وشدة تحيله في إيقاع الدلسة للنفس في الكلام. فأما أن يكون ذلك شينا يرجع إلى ذات الكلام فلا"³

أما الشعر الرديء فهو ما كان كذبه واضحا سهل الانكشاف على المتلقي، وما كنت كلماته وعبارته مألوفة وليس فيها أي جديد ولا تبعث الدهشة أو التأثير في المتلقي خالية من الغرابة، حيث يقول: "وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة، واضح الكذب، خليا من

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص204.

2- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص70.

3- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص207.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

الغرابية، وما أجدر ما كان بهذه الصفة ألا يسمى شعرا وإن كان موزونا مقفى، إذ المقصود بالشعر معدوم منه، لأن ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس لمقتضاه، لأن قبج الهيئة يحول بين الكلام وتمكنه من القلب، وقبح المحاكاة يغطي على كثير من حسن المحاكى أو قبجه ويشغل عن تخيل ذلك. فتجمد النفس عن التأثر له، ووضوح الكذب يزعها عن التأثر بالجملة¹.

فالقرطاجني هنا عقد مقارنة بين التخييل والتصديق، وبين مدى تداخلهما وتخرجهما في الخطاب الشعري والنصي، مؤكداً على أنهما -الخطاب والشعر- رغم اختلافهما في بعض الأمور إلا أنهما يتقاطعان في نقطة جوهرية وهي الغرض المتمثل في إعمال الحيلة في الإقناع والتأثير على المتلقي، حيث يقول القرطاجني: "إن الغرض من الصناعتين واحد وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام في النفوس بمحمل القبول لتتأثر لمقتضاه، فكانت الصناعتين متآخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما"².

لهذا فإنه من الضروري أن يُحسن صاحب الخطاب الشعري اختيار معانيه وألفاظه باعتماد عبارات تليق بالقارئ والمستمع (المتلقي) حتى ينجح في إيصال رسالته على أكمل وجه عبر التأثير في المتلقي وتحقيق الإفادة، لأن الاتساق والانسجام بين المعاني والألفاظ عمل مشترك بين طرفي الموضوع المبدع والمتلقي.

مما سبق يتضح اتفاق آراء حازم مع بعض معطيات ومنجزات التداولية، هذه الأخيرة التي تهتم بطرفي الخطاب، وتدرس العلاقة النفعية التي تربط القائل بالمخاطب، كما تهتم بفعل التأثير الذي يمارسه القول على المخاطب، وتضع شروطا للمتكلم من خلال توفر مقاصده، ومشاركته في الحدث الكلامي، وتأثيره على المتلقي. وقد تنبه حازم إلى هذه القضايا المهمة التي تخص أطراف العملية الإبداعية، وهي الشاعر، المتلقي، والشعر التي أولاهها عناية كبيرة.

المبحث الثاني : أغراض التخاطب

إن لكل خطاب سواء كان مكتوباً أو شفوياً، مقصداً معيناً وغرضاً يصبو منشئ ذلك الخطاب (المتكلم) ، من خلاله إلى إيصال رسالة معينة لمتلقي أو جمهور معين، ولقد اهتم "القرطاجني" كثيراً بأغراض الخطاب وتطرق له بالتحليل والمناقشة، في مواضع كثيرة من كتابه نذكر منها :

ميّز القرطاجني بين نوعين من المعاني وهي المعاني الجوهرية والمعاني الثانوية أو المكملة، وأطلق عليها مصطلح "الثواني والأوائل"، وربطها بالمقصد والغرض فالمعاني

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص172.

2- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص361.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

الجوهرية هي التي تمثل القصد الحقيقي ،حيث يقول: "والمعاني الشعرية منها ما يكون مقصوداً في نفسه، بحسب غرض الشعر، ومعتمداً إيراده، ومنها ما ليس بمعتمد إيراده ولكن يورد على أن يحاكي به ما اعتمد من ذلك، أو يحال به عليه أو غير ذلك ولنسم المعاني التي تكون من متن الكلام ونفس غرض الشعر المعاني الأول، ولنسم المعاني التي ليست من متن الكلام ونفس الغرض ولكنها أمثلة لتلك أو استدلالات عليها أو غير ذلك، لا موجب لإيرادها في الكلام غير محاكاة المعاني الأول بها أو ملاحظة وجه يجمع أو ملاحظة وجه يجمع بينهما على بعض الهيئات التي تتلاقى عليها المعاني، ويصار من بعضها إلى بعض المعاني الثواني، فتكون معاني الشعر منقسمة إلى أوائل وثوان"¹

فالقراطجني من هذا المنطلق بين المعاني الأصلية التي لها علاقة مباشرة بالمعنى المقصود والتي لا يمكن للسامع أن يصل إليها دون تفكيكها، والمعاني الثانية التي تعتبر مكملة للأولى وخادمة لها فهي التي تنير وتوضح الأولى إذا ما أصابها بعض الغموض. كما يرى "القرطاجني" أن الشعر مرتبط بقصدية المتكلم منتج الشعر أو الخطاب وانعكاس ذلك على نفسية المتلقي وانفعالاتها المستمرة سلباً أو إيجاباً، حيث يقول: "يجب على من أراد جودة التصرف في المعاني وحسن المذهب في اجتلابها والحنق بتأليف بعضها إلى بعض، أن يعرف أن للشعراء أغراضاً أول هي الباعثة على قول الشعر، وهي أمور تحدث عنها تأثيرات وانفعالات للنفوس، لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين، فالأمر قد (يبسط) النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء ويقبضها بالكآبة والخوف. وقد يبسطها أيضاً بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع، وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الأمر من مبدأ سار إلى مآل غير سار وإذا ارتيح للأمر من جهة واكثرث له من جهة على نحو ما جرى مجرى ذلك كانت أقوالا شاجية"².

فالقراطجني هنا ربط قصد الشاعر منتج النص بنفسية المتلقي ومدى تناسبها مع بعضهما البعض، فهو يركز على تأثير تلك النصوص على المتلقي، وما يمكن أن يجذبه وما يريد سماعه، وقد عبر عن ذلك بمصطلحات منها: الأثر، الانفعال، الابتهاج، الاستغراب، يبسطها، يؤنسها.... وغيرها من المصطلحات.

ويقسم "القرطاجني" أغراض الشعر من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها، إلى طريق جد وطريق هزل.

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص23.

2- حازم القرطاجني، المرجع نفسه ، ص11.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

حيث يقول: "فأما طريقة الجد فهي مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مروءة وعقل بنزاع الهمة والهوى إلى ذلك، وأما طريقة الهزل فإنها مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مجون وسخف بنزاع الهمة والهوى إلى ذلك"¹.

إن كلام "القرطاجني" هنا يؤكد نزعته الأخلاقية، فكل ما له علاقة بالمروءة والعقل يدخل في إطار الأخلاق الايجابية، وكل ماله علاقة بالمجون والسخف يدخل في إطار الأخلاق السلبية.

ويقول في موضع آخر: "ويجب في معاني الطريقة الجديدة أن تكون النفس فيها طامحة إلى ذكر ما لا يشين ذكره ولا يسقط من مروءة المتكلم، وأن تكون واقفة دون أدنى ما يحتشم من ذكره ذو المروءة أو يكبر نفسه عنه، وأن تطرح من ذلك ما له ظاهر شريف في الجد وباطن خسيس في الهزل"².

فالألفاظ في القول الجاد لا بد أن تكون بعيدة عن الكلام الساقط المشين والمخجل منها، ويكون كل الاعتماد فيها على الكلام الفصيح متين العبارات.

ويقول "القرطاجني" في موضع آخر في حديثه عن طرق أو حالات أخذ الهزل من الجد أو العكس: "لما كان أهل طريقة الهزل يشاركون أهل طريقة الجد في كثير من المعاني والعبارات ويستعملون ذلك في كلامهم وطريقتهم بساطا إلى ما يريدونه من معاني الهزل التي هي غاية طريقتهم، وتلك المعاني والعبارات المشترك فيها هي التي في أنفسها كلام جدي ليس فيه تعرض لما يقدر في الطريقة الهزلية، ولم يحتج في طريقة الجد إلى شيء يكون لها بساطا من معاني هزل، وكانت طريقة الهزل بجملتها منافية لأهل طريقة الجد، ولم تكن طريقة الجد بجملتها منافية لأهل طريقة الهزل وجب أن تأخذ طريقة الهزل من طريقة الجد أخذًا خاصًا، وألا تأخذ طريقة الجد من طريقة الهزل شيئًا - اللهم - إلا أن يشير إلى غرض من أغراضها بشرط أن تكون إشارته لائقة ولا تقدر في طريقة الجد كثيرًا"³.

يرى "القرطاجني" أنه يجوز أخذ طريق الجد من الهزل، وطريق الهزل من الجد، مع الإبقاء على الأصل والفرع واحترام خصوصية كل واحدٍ فيهما، حسب المقام والمقاصد، فالجد يأخذ من الهزل أخذًا خاصًا خفيًا، واشترط فيه التدرج والتلطف، كما تأخذ طريقة الهزل من الجد شرط أن لا تقدر فيه قدحًا كبيرًا.

يقول الدكتور محمد العمري: "طريق الجد وطريق الهزل يتداخلان ويتخارجان الخطاب حسب المقامات والمقاصد"⁴.

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص327.

2- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص329.

3- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص334.

4- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012، ص117.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

ويقول "القرطاجني" في الأغراض الشعرية ومقاصد النظم مفصلاً وواضحاً شروط لكل غرض من الأغراض: " فمن ذلك طريقة المدح، ويجب فيها السمو بكل طبقة من الممدوحين إلى ما يجب لها من الأوصاف، وإعطاء كل حقه من ذلك؛ ويجب أن يتوسط في مقادير الأمداح التي لا يحتاج فيها إلى إطالة في وصف فتح وما يجري مجرى ذلك مما قد تحتل الإطالة فيه، فإن الإطالة مدعاة إلى السامة والضجر، وخصوصاً إذا كان الممدوح من غلبة نعيم الدنيا عليه بحيث يقل احتمالته لذلك ويتأذى به؛ ويجب ألا يمدح رجل إلا بالأوصاف التي تليق به؛ ويجب أن تكون ألفاظ المديح ومعانيه جزلة مذهباً بها مذهب الفخامة في المواضع التي يصلح بها ذلك، وأن يكون نظمه متيناً، وأن تكون فيه مع ذلك عذوبة"¹.

فالقرطاجني اشترط في غرض المدح أن يتوسط في مدحه بين طول العبارات وقصرها حتى لا يضجر ويسأم الممدوح، وأن يستخدم العبارات الجزلة، وأن يكون المدح مناسباً للممدوح دون مبالغة أو تكلف.

وعن شروط استخدام النسب يقول "القرطاجني": " وأما النسب فيحتاج أن يكون مستعذب الألفاظ حسن السبك حلو المعاني لطيف المنازع سهلاً غير متوعر، وينبغي أن يكون مقدار التغزل قبل المدح قصداً لا قصيراً مخللاً ولا طويلاً مملاً"².

وقد اشترط "القرطاجني" في هذا الغرض سهولة الألفاظ وعذوبتها، كما اشترط في الرثاء أن يكون: "شاجي الأقاويل مبكي المعاني مثيراً للتباريح، وأن يكون بألفاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب ملذوذ، وأن يستفتح فيه بالدلالة على المقصد ولا يصدر بنسب لأنه مناقض لغرض الرثاء"³

فالرثاء إذن ذكر لصفات الميت ومناقبه ومآثره وإطراء له، فيظهر على المتكلم الحزن الشديد وانسكاب الدمع وتلوع النفس وتألماً حسرة على فقدان الميت، وارتجاف قلبه وانفطاره، فهذا الغرض الشعري تعبير انفعالي بطبيعته ينفس فيه المصاب عن لواعج النفس، إزاء موقف معين، كما أنه وسيلة إلى مدح المرثي وتكريمه و تخليد ذكره و مآثره.

وفي حديث القرطاجني عن غرض الفخر يقول: " فأما الفخر فجار مجرى المديح ولا يكاد يكون بينهما فرق إلا أن الافتخار مدح يعيده المتكلم على نفسه أو قبيله، وأن المادح يجوز له أن يصف ممدوحه بالحسن والجمال ولا يسوغ للمفتخر أن يصف نفسه بذلك"⁴.

فالقرطاجني يرى أن الفخر يشبه المدح كثيراً ولا يختلفان إلا في أمر واحد وهو أنّ الفخر يعود على أنا الشاعر أو قبيلته.

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص351.

2- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص351.

3- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص351.

4- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص352.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

ويقول في الاعتذار "فأما طرق الاعتذار والمعاتبات والاستعطافات وما جرى مجراها فملاك الأمر فيها التلطف والإثلاج إلى كل معترذ إليه أو معاتب أو مستعطف من الطريق الذي يعلم من سجيته أو يقدر تأثيره لذلك"¹.

أي أن عبارات الاعتذار يجب أن يكسوها الاستعطاف والتلطف لتأثر في المتلقي المراد الاعتذار منه ليتم القبول.

يقول الدكتور أحمد حاجم الربيعي: "ولو نظرنا إلى الأساليب التي نظم فيها الشعراء قصائدهم ، لوجدناها تختلف في كل غرض عن الآخر وهذا الاختلاف ضرورة حتمية اتفق عليها النقاد"².

وما ينبغي ملاحظته في النظم أن "القرطاجني" يدعو إلى احترام كل غرض من الأغراض والتقييد بشروطه وكذا الالتزام بما يحتاجه كل غرض من ألفاظ وعبارات، والسعي إلى الإبداع والتجديد المستمر مع مراعاة ما تعارف عليه العرب.

وفي حديث القرطاجني الغاية الحقيقية للشعر يقول: "فأما طريق معرفة القسمة الصحيحة التي للشعر من جهة أغراضه فهو أن الأقاويل الشعرية لما كان القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضار ببسطها النفوس إلى ما يراد من ذلك وقبضها عما يراد بما يخيل لها فيه من خير أو شر، وكانت الأشياء التي يرى أنها خيرات أو شرور منها ما حصل ومنها ما لم يحصل، وكان حصول ما من شأنه أن يطلب يسمى ظفرا، وفوته في مظهره الحصول يسمى إخفاقا"³

فمقصد الشعر عند "القرطاجني" هو جلب المنافع وإبعاد الضرر و التواصل بين منتج الخطاب والمتلقي والتفاعل بينهما، وكذا التأثير في نفس المتلقي، وحمله على التفاعل مع المضمون التخيلي للنص والاستجابة له.

وفي حديث "القرطاجني" عن تنوع الأساليب بحسب مقاصد المتكلم يقول: "إن أساليب الشعر تتنوع بحسب مسالك الشعراء في كل طريقة من طرق الشعر، وبحسب تصعيد النفوس فيها إلى حزونة الخشونة أو تصويبها إلى سهولة الرقة أو سلوكها مذهباً وسطاً، بين ما لأن وما حُسن من ذلك. فإنَّ الكلام منه ما يكون موافقاً لأغراض النفوس الضعيفة الكثيرة الإشفاق مما ينوبها أو ينوب غيرها، ومنه ما يكون موافقاً للنفوس المقبلية على ما يبسط أنسها المعرضة عما به كلا الفريقين"⁴.

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص352.

2- أحمد حاجم الربيعي، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، دار رسلان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص272.

3- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 337.

4- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص 337.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

فالأساليب تتنوع بحسب الغاية التي يريدها المتكلم وبحسب الموقف والموضوع المراد الحديث عنه، فالمتكلم قد يقف ساخرا عند الغضب وشاعرا عند الشوق وصحافياً عند التحقيق، فتتعدد الأساليب داخل أسلوبه حسب المواقف والموضوعات.

ويقول في موضع آخر: " ولما كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ، وجب أن يلاحظ فيه من حسن الاطراد والتناسب، والتلطف في الانتقال من جهة إلى جهة، والصيرورة من مقصد إلى مقصد ما يلاحظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض ومراعاة المناسبة ولطف النقلة"¹.

أي أن الأسلوب والمعاني يختلفان حسب مقصد الشعر والخطاب، حيث يتم اختيار وترتيب المعاني فيه وتأليفها في النفس، ثم يتم وضعها في مكانها المناسب.

يقول الدكتور محمد مفتاح: " فالقصد أو المقصدية إذن تحدد كيفية التعبير و الغرض المتوخى وهي البوصلة التي توجه تلك العناصر و تجعلها تتضام و تتصافر و تتجه إلى مقصد عام؛ فالمقصدية تحدد اختيار الوزن و الألفاظ الملائمة و تركيبها بطرق معينة لتؤدي المعنى العام المتوخى"². فالقصدية هي مفتاح العمل الشعري والمتكلم الأول فيه.

ولقد أدرك "القرطاجني" مدى أهمية أغراض التخاطب، فظهر تركيزه على مقصدية الشعر، وأثره في عملية التواصل بين الشاعر والمتلقي، من خلال ذلك النص (الرسالة)، التي يحملها الشاعر أدوات التأثير في المتلقي، بشكل يجعله يتفاعل مع مضامينه.

المبحث الثالث: الخطاب وسياق الموقف:

إن المقام أو السياق أو الأحوال والملابسات المحيطة بالخطاب، لها أهمية كبيرة في الدرس التداولي، بل هي جوهر البحث التداولي، ولا يمكن لأي كان أن ينتج رسالة ما، دون النظر في السياق العام الذي يحيط بها، فإن كان منشئ الخطاب يهدف إلى التأثير في المتلقي وإقناعه بأمر ما أو رده عن فعل أمر معين فعليه أن يراعي ما يقتضيه ذلك المقام من ألفاظ وأساليب ونظم، وفي الوقت ذاته من الصعب على المتلقي أن يفهم الخطاب دون العودة إلى السياق الذي ولد وأنتج فيه ذلك الخطاب، ويُعرف السياق على أنه: "مجموع شروط إنتاج القول، وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته والقول هو وليد قصد معين يستمد وجوده من شخصية المتكلم ومستمعه أو مستمعيه، ويحصل ذلك في الوسط (المكان) واللحظة (الزمان) اللذين يحصل فيهما... وهذه العوامل كلها والمؤثرة على إنجاز القول هي التي تشكل المقام"³

¹-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 364.

²- محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، مطبعة النجاح الجديدة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1982، ص 52.

³- محمد يحياتن، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط 1، د ت، ص 41.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

ولقد اهتم القرطاجني بالمقام أو السياق كثيرا، وقد تطرق له في مواضع كثيرة من كتابه، نذكر منها:

قسم القرطاجني القول أو الخطاب إلى جد وهزل حسب ما يقتضيه المقام وحال الخطاب ،ولقد حدد ما يُعتمد من أساليب في طريقة الجد التي يقول عنها: "فأما ما يجب في طريقة الجد فألا ينحرف في ما كان من الكلام على الجد إلى طريقة الهزل كبير انحراف، أو لا ينحرف إلى ذلك بالجملة، لأن الكلام المبني على الجد إنما قصد به إلقاءه بمحل القبول من أهل الجد.

وكثير من أهل الجد يكره طرق الهزل، ومن لا يكرهها منهم كبير كراهة لا نغصه غير منغص على جميعهم، فلذلك يجب ألا يتعرض إليها كبير تعرض، أو لا يتعرض إليها بالجملة في طرق الجد"¹.

فالقُرطاجني يضع هنا معايير وشروط يجب التقيد بها في طريق الجد، وأولها أن لا يميل الشاعر إلى الهزل وهو في معرض الجد أو أن يخلط بينهما، إلا للضرورة لتلطيف الجو والأفضل أن يستغني عنه تماما، لأن الكثير من الناس لا يحبون إدخال الهزل في مقام الجد ، ويعتبرونه انتقاصا لهيبتهم وهيبة ذلك المجلس.

يقول الدكتور محمد أديوان: "ذلك بأنّ الكلام الجدي يخاطب به ذو النفس الميالة إلى تفضيل الجدّ في الغالب والميال إلى الجد من المخاطبين. وقد يغض الطرف عن بعض الهزل، إذا خالط طريقة الجد؛ ولكن قد يتفق أن يتذمر من ذلك، إذا كانت نفسه لا تطيق مثل ذلك وخشية أن يتورط الشاعر في ما لا تحمد عقباه عند مخاطبة أهل الجدّ نصحه حازم بالابتعاد عن دائرة الهزلّ ما أمكن حتى لا يواجه من ذوى الهمم النزاعة إلى الجدّ من لا يقبل الهزل ولو كان قليلاً"²

فالقُرطاجني هنا يدعو إلى الحفاظ على الجدية عندما يكون في مقام جد حتى لا يثير سخط الحاضرين أي الجمهور المتلقي.

كما اشترط "القرطاجني" في: "الطريقة الجدية بأن يجتنب فيها الساقط من الألفاظ والمولد، ويقتصر فيها على العربي المحض وعلى التصاريف الصريحة في الفصاحة المطردة في كلامهم. ولا يعرج من ذلك على ما لا يدخل في كلامهم إلا بوجوه تستضعف ويتسامح في إيراد الحوشي والغريب فيها في بعض المواضع"³.

أي أن يتأكد من أن كلامه لا يشوبه أي عيب من عيوب الخطاب من غرابة أو غموض، أو أي عبارات ساقطة غير فصيحة أو غير عربية.

¹ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص328.

² - محمد أديوان، قضايا النقد عند حازم القرطاجني، أطروحة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 2004، ص302.

³ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص328.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

كما تطرق "القرطاجني" لموضوع السياق اللساني الذي يعتمد فيه المتلقي على العناصر الخارجية ووضعيات التلفظ، حيث يقول: " فإذا أردت أن تقارن بين المعاني وتجعل بعضها بإزاء بعض وتناظر بينها فانظر مأخذًا يمكنك معه أن تكوّن المعنى الواحد وتوقعه في حيزين فيكون له في كليهما فائدة، فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيز وموقعه في الحيز الآخر فيكون هذا من اقتران المناسبة، أو مأخذًا يصلح فيه اقتران المعنى بمضاده فيكون هذا مطابقة أو مقابلة، أو مأخذًا يصلح فيه اقتران الشيء بما يناسب مضاده فيكون هذا مخالفة أو مأخذًا يصلح فيه اقتران الشيء بما يشبه ويستعار اسم أحدهما للآخر فيكون هذا من تشافع الحقيقة والمجاز"¹.

كما يظهر اهتمام القرطاجني بحال الخطاب في حديث عن شعرية القصيدة حيث يقول: " للشعر مواطن لا يصلح فيها إلا استعمال الأقاويل الكاذبة، والصادقة، ومواطن لا يصلح فيها استعمال الأقاويل الكاذبة، ومواطن يصلح فيها استعمال الصادقة والكاذبة و استعمال / الكاذبة أكثر وأحسن ومواطن تستعمل فيها كلتاها، من غير ترجح فهي خمسة مواطن لكل مقام منها مقال"².

فالمقام أو ملابسات الخطاب لها دور كبير في ولادة الخطاب من جهة وفي حل شفراته وفهمه من جهة أخرى، حيث يقول القرطاجني: "فمعاني الشعر على هذا التقسيم ترجع إلى وصف أحوال الأمور المحركة إلى القول، أو وصف أحوال المتحرّكين لها أو إلى وصف أحوال المحركات سمي والمحركين معا، وأحسن القول وأكمله ما اجتمع فيه وصف الحالين"³.

فالظروف المحيطة من زمان ومكان ومواقف هي التي تحرك في نفوس الشعراء، وتدفعهم للإبداع وخلق الخطاب، فينتقون الألفاظ والعبارات المناسبة لذلك الحدث الكلامي، والتي من شأنها أن تؤثر في المتلقي وتحرك فيه مشاعر الدهشة والغبطة أو الحزن أو غير ذلك.

كما عبر القرطاجني في موضع آخر عن أهمية تناسب العبارات والألفاظ مع سياق الخطاب وحالة المتكلمين حيث يقول : "يجب أن نشير إلى ما يحسن اعتماده في التصرف في هذه المعاني الذهنية وإن تعددت في الشيء الواحد بحسب وضعه وترتيبه، فالواجب أن يعتمد من تلك الصور المتعددة، وإن استوت دلالة ومعنى به يليق... عبارة لا تسد مسد عبارة في حسن وقع وإن كان مفهومها واحداً، لأن إحداها أليق بالموضع وأشدّها

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص15.

2- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص85.

3- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص13.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

مناسبة، لما وقع في جنبتي الكلام المكتنفتين له أو لما وقع إحداهما. ويكون هذا التناسب يقع بين المفهومات أو بين المسموعات الدالة عليها¹.

فالسباق هو المتحكم الأول في اختيار الألفاظ وما يناسبها من معاني، لإنتاج الخطاب وفعالدلالات التي يفتضئها المقام، والترتيب التركيبي والاختيار اللفظي المناسب للمعنى وطريقة استعماله في الخطاب، مما يستدعي عملية التوافق بين الصور الذهنية والمنجزات الكلامية.

فالقرطاجني كان يعرف مدى أهمية السياق وعلاقته بالمتكلم والمتلقي كما كان واعياً لضرورة انتقاء العبارات والألفاظ المناسبة لمقام الخطاب، ومدى تأثير كل ذلك في إنتاج الرسالة وتلقيها.

ويقول في موضع آخر: " وينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة، الواقعة في الشعر، تابعة لأقاويل مخيلة، مؤكدة لمعانيها، مناسبة لها في ما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيلة هي العمدة، وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة، مناسبة لها مؤكدة لمعانيها، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة"².

ويقول في موضع آخر: "فقد تبين بهذا أن المعاني صنفان: وصف أحوال الأشياء التي فيها القول، ووصف أحوال القائلين أو المقول على أسنتهم، وأن هذه المعاني تلتزم معاني آخر تكون متعلقة بها ومتلبسة بها، وهي كصفات مأخذ المعاني وموقعها من الوجود أو الفرض أو غير ذلك ونسب بعضها إلى بعض، ومعطيات تحديدها وتقديراتها، ومعطيات الأحكام والاعتقادات فيها، ومعطيات كصفات المخاطبة"³.

أي أن كل الملابس المحيطة بالخطاب تلعب دوراً كبيراً في تحديد الخطاب ومعانيه.

المبحث الرابع: المعاني الشعرية والمعاني الخطابية

تشتمل البلاغة على صناعاتي الشعر والخطابة ولكل منهما ميزات تتلاءم معها، ولقد اهتم "القرطاجني" في كتابه بكلا الموضوعين، وإن كان قد بالغ في الاهتمام بالشعر، على حساب الخطابة، حيث أفرد له دون بقية الأقاويل حيزاً واسعاً، وأحاطه بأهمية بالغة في كتابه المنهاج، ولعل ذلك راجع إلى طغيان الشعر في هذه المرحلة من الزمن وما قبلها على غيره من الأجناس النثرية، فهو يكاد يختزل الممارسة الإبداعية بأكملها، ومن ثم يمكن عده سيد الأجناس الأدبية دون منازع، وتأتي الخطابة في المرتبة الثانية بعد القول الشعري من حيث الأهمية والحيز الذي خصه له حازم في المنهاج، وبعبارة أوضح فالقرطاجني لم يتطرق للخطابة إلا من باب مقارنتها بالشعر، وتوضيح أوجه الاختلاف بينهما، من حيث قيام الأولى

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 16.

2- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص 362.

3- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 14.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

على الإقناع، وقيام الثانية على التخيل، واستطرد "القرطاجني" في الحديث عنهما -الشعر والخطابة- وعن معاني كل منهما من ذلك نذكر:

يقول حازم القرطاجني: "لما كان علم البلاغة مشتقاً على صناعاتي الشعر والخطابة، وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني، ويفترقان بصورتي التخيل والإقناع، وكان لكتبيهما أن تخيل وأن تقنع في شيء من الموجودات الممكن أن يحيط بها علم إنساني، وكان القصد في التخيل والإقناع، حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده. أو التخلي عن واحد من الفعل"¹.

فالتخيل عند القرطاجني هو عماد الشعر، بل إن التخيل هو خاصية وميزة ينفرد بها الشعر دون غيره من الفنون الأدبية الأخرى، وتلك الخاصية هي التي تمكنه من إحداث التأثير المطلوب في المتلقي، إضافة إلى نوع المعرفة التخيلية التي يؤديها إليه، حيث يقول حازم القرطاجني: "والمخيل هو الكلام الذي تدعن له النفس فتنبسط الأمور أو تنقيض عن أمور من غير روية وفكر واختيار، وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري، سواء كان المقول مصدقاً به أو غير مصدق به فإن كونه مصدقاً به غير كونه مخيلاً أو غير مخيل، فإنه قد يصدق بقول من الأقوال ولا ينفعل عنه؛ فإن قيل مرة أخرى أو على هيئة أخرى انفعلت النفس عنه طاعة للتخيل لا للتصديق، فكثيراً ما يؤثر الانفعال ولا يحدث تصديقا، وربما كان المتيقن كذبه مخيلاً وإن كانت محاكاة الشيء لغيره تحرك النفس وهو كاذب، فلا عجب أن تكون صفة الشيء على ما هو عليه تحرك النفس وهو صادق، بل ذلك أوجب، لكن الناس أطوع للتخيل منهم للتصديق، وكثير منهم إذا سمع للتصديقات استكرهها وهرب منها وللمحاكاة شيء من التعجب ليس الصدق، لأن الصدق المشهور كالمفروغ منه، ولا طراءة له، والصدق المجهول غير ملتفت إليه، والقول الصادق إذا حرف عن العادة وألحق به شيء تستأنس به النفس، فربما أفاد التصديق والتخيل معا، وربما شغل التخيل عن الالتفات إلى التصديق والشعور به"².

فالكلام المخيل يحدث انفعالا في النفس البشرية، بطريقة سريعة ولا إرادية، وهذا الانفعال قد يكون سعادة أو حزناً، وذلك هو الذي يتحكم في قبول الكلام أو النفور منه، ولم يشترط القرطاجني أن يكون القول المخيل صادقاً أو كاذباً فالمهم هنا هو التأثير في المتلقي. أما الخطابة فعمادها الإقناع، حيث يقول القرطاجني: "و لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال، وكان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويلها على تقوية الظن لا على إيقاع اليقين - اللهم إلا أن يعدل الخطيب بأقويله عن الإقناع إلى التصديق فإن للخطيب أن يلم بذلك في حال بين الأحوال من كلامه واعتماد الصناعة الشعرية على تخيل الأشياء

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص20.

2- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص85.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

التي يعبر عنها بالأقويل وبقائمة صورها في الذهن بحسب المحاكاة، وكان التخيل لا ينافي اليقين كما نافاه الظن، لأن الشيء قد يخيل على ما هو عليه، وقد يخيل على غير ما هو عليه، وجب أن تكون الأقويل الخطابية اقتصادية كانت أو احتجاجية غير صادقة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق، لأن ما يتقوم به وهو الظن مناف لليقين¹.

فالشعر حسب "القرطاجني" يحقق مقصده الحجاجي عن طريق التخيل، في حين أن الخطابة تحققه عبر صورة الإقناع، وهنا نلمس الفرق الجوهرية بين هذين النمطين من الخطاب، أما وجه الشبه بينهما فيمكن في المعاني وموقعها في النفوس، فكلاهما - الخطابة والشعر - يؤثر بمعانيه في نفوس السامعين إما بالإيجاب فيقودهم إلى فعل شيء أو اعتقاده، وإما بالسلب فيقودهم إلى تركه.

كما يلتقيان في أن كلاهما يمارسان تأثيراً على المتلقي فالأول (الشعر) بالتخيل ولم يشترط فيه الصدق أو الكذب والثاني (الخطابة) بالإقناع ولم يشترط فيها تحقق الإقناع، فالخطابة غير مجبرة على تحقيقه، وإنما هي مطالبة فقط بممارسة العملية الإقناعية، فإن نجحت فهو هدفها، وإن فشلت، فهو على الأقل ما كانت ترمى إليه.

ويقول "القرطاجني" في موضع آخر، في حديثه عن المراوحة بين هاتين الصناعتين والأخذ من بعضهما البعض: "قد تقدم الكلام في أن التخيل هو قوام المعاني الشعرية والإقناع هو قوام المعاني الخطابية. واستعمال الإقناع في الأقويل الشعرية سائغ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضوع بعد الموضوع، كما أن التخيل سائغ استعمالها في الأقويل الخطابية في الموضوع بعد الموضوع. وإنما سائغ لكليهما أن يستعمل يسيراً فيما تتقوم به الأخرى، لأن الغرض في الصناعتين واحد، وهو أعمال الخيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه. فكانت الصناعتان متواخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما فلذلك سائغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه"².

فالشعر والخطابة يتقاطعان ويتبادلان الأدوات ذلك أن الشعر قد يستعين بالإقناع للتأثير في المتلقي وإيصال الرسالة والمعنى المراد، وكذلك الخطابة قد تستعين بالتخيل لإضفاء لمسة جمالية على الخطاب وتقريب الصورة أكثر للمتلقي والتأثير فيه، ولكن كل ذلك بنسب قليلة حتى لا يطغى الشعر على الخطابة أو أن تغلب الخطابة الشعر. وعليه وتأسيساً على ما تقدم، "فالشعر أحد الخطابات الحجاجية؛ لأنه تعبير عن رؤية الشاعر وتوجهاته، التي تمنح النص فرادته وتميزه في الموضوعات التي يختارها ليعبر عنها في سياق ثري متناسب

¹ -حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 62.

² - حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص 361.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

فيه الدلالات التي تتضافر لغاية واحدة هي إقناع المتلقي بوجهة نظر معينة تهدف إلى التأثير في المتلقي واستمالاته لقبول وجهة النظر تلك¹

ويقول في موضع آخر: "ولما كانت النفوس تحب الافتتان / في مذاهب الكلام، وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض، ليتجدد نشاطها بتجدد الكلام عليها، وكانت معاونة الشيء على تحصيل الغاية المقصودة به بما يجدي في ذلك جدواه أدعى إلى تحصيلها من ترك المعاونة، كانت المراوحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية أعود براحة النفس، وأعون على تحصيل الغرض المقصود. فوجب أن يكون الشعر المراح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه، وأن تكون الخطبة التي وقعت المراوحة بين معانيها أفضل من التي لا مراوحة فيها. ولتواخي الصناعتين وتداخل أقاويل كليهما على الأخرى"².

فالقرطاجني يجد أن المراوحة بين الصناعتين-الشعر والخطابة-يكسر رتابة الملل، ويجدد الخطاب ويمنحه الحياة، وأن الشعر الذي يتخلله الإقناع أجود من غيره، والخطابة التي يخالطها التخيل أفضل بكثير من التي لا مراوحة فيها.

فهو يرى أن الشاعر الذي يراوح في معانيه، بين القول الخطابي والشعري أفضل من غيره الذي لا يراوح، ذلك الأمر الذي من شأنه أن يحسن موقع الأساليب من النفوس، يقول: "وينبغي أن تكون الأقاويل المقتعة، الواقعة في الشعر، تابعة لأقاويل مخيلة، مؤكدة لمعانيها، مناسبة لها في ما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيلة هي العمدة. وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقتعة مناسبة لها مؤكدة لمعانيها، وأن تكون الأقاويل المقتعة هي العمدة"³.

وقد اشترط القرطاجني في المراوحة بين الجنسين الأدبيين-الخطابة والشعر - أن تكون متناسبة مع معانيها ومؤكدة لها، وأيضاً أن يحافظ الشاعر أو الخطيب، ويحترم الأصل والفرع في كل منهما فإذا كان القول شعراً، كان هذا الأخير هو الأصل والعمدة، فلا يجب أن يغلب عليه الخطابة أو يساويه، بل يجب أن يكون جزءاً منه فقط، والعكس بالعكس، حيث يقول القرطاجني: "فإن ساوى بعض الناس بين المخيلات والمقتعات في كلتا الصناعتين، أو حام حول مساواة المخيلات بالمقتعات في الشعر، أو مساواة المقتعات بالمخيلات في الخطابة، كان قد أفرط في كلتا الصنعتين في الاستكثار مما ليس أصيلاً فيه ولا..... مع ذلك مقبولاً"⁴

1- عرفات فيصل المناع، حجاجية النص الشعري العربي القديم معلقة الحارث بن حلزة اليشري مثلاً، مجلة دراسات البصرة، العدد 21، 2016، ص289.

2- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص361.

3- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص362.

4- حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص362.

الفصل الثاني : ملامح التداولية في المنهاج

فالمساواة حسب القرطاجني في أحد الصناعتين أو إغراق أحدهما بما ليس أصيلاً فيه، يؤدي إلى تشويبه وفساده، وذلك مذهب مذموم، يقول القرطاجني: " فإن جاوز حد التساوي في كليهما، فجعل عامة الأقاويل الشعرية خطابية، وعامة الأقاويل الخطابية شعرية، كان قد أخرج كلتا الصناعتين عن طريقهما، وعدل بها عن سواء مذهبها، ووجب رد قوله..... ولنسبة كلامه إلى ما ذهب به من المذاهب المعنوية، ولا إلى ما هيأه به من الهيئات اللفظية. وأن تعد الخطابة في ذلك شعراً، والشعر خطابة، فيكون ظاهر الكلام وباطنه متدافعين، وهو مذهب مذموم في الكلام"¹.

فعلى المبدع شاعرٌ كان أو خطيباً أن لا يصب الصناعتين في بعضهما البعض فتتنصهر معالم وملامح كل منهما وتتشوه، بل يكتفي المبدع بالمرآحة بينهما دون إخلال لجوهر أي واحدٍ منهما وإفساده بالآخر. فالشعر والخطابة، على الرغم من اشتراكهما في مادة المعاني فهما يفترقان في صورتَي التخييل والإقناع.

¹ - حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص362.

خاتمة

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة الموسومة بـ "ملاح التداولية في منهاج البلاغ للقرطاجني نماذج مختارة" توصلنا إلى النتائج التالية:

- 1- التداولية معرفة تهتم بالتواصل الإنساني من حيث الاستعمال اللغوي وأصول التخاطب.
- 2- تعطي التداولية أهمية كبيرة لسياق الموقف ومقاصد المخاطبين.
- 3- طرح القرطاجني وناقش في كتابه العديد القضايا التي هي اليوم من صميم الدرس التداولي.
- 4- اهتم القرطاجني بعناصر الخطاب (المتكلم، المتلقي، الخطاب) وان اختلفت المصطلحات والمسميات فقد استعمل مصطلح الشاعر للتعبير عن المتكلم، واستعمل مصطلح النفس أو الجمهور للتعبير عن المتلقي، بينما عبر النص بمصطلح الشعر والخطاب.
- 5- تعد القصدية ملمح من ملاح الفكر التداولي عند حازم لأنها ترتبط بالمتكلم وما يريده من السامع في الخطاب.
- 6- ترتبط القصدية عند حازم بالتخييل لدى المتكلم لأن الجانب الخيالي له علاقة بالكفاءة اللغوية للسامع.
- 7- اهتم حازم بالخطاب من حيث صياغته وأسلوبه لكي يتناسب وسياق الموقف لأن هذا الأمر له علاقة ببلاغة الخطاب.
- 8- أظهر حازم القرطاجني الأغراض التخاطبية في مدونته، بحيث جعل لكل خطاب غرض خاص به يتناسب وسياق الموقف.
- 9- يرتبط الخطاب عند حازم بسياق الموقف لأنه يظهر المقاصد والأغراض من الكلام.
- 10- هناك علاقة بين الخيال والإقناع من خلال المعاني الشعرية والخطابية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقويم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986.

ثانياً: المراجع

1- المعاجم :

2. ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، مادة(د و ل)، مجلد 5.
3. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تر وتح: انس محمد الشامي وزكريا جابر احمد، دار الحديث ، القاهرة ، مصر، د ط، د ت.

2- الكتب :

4. أحمد حاجم الربيعي ،القصص القرآني في الشعر الأندلسي، دار رسلان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010.
5. أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015.
6. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 2008.
7. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005.
8. ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، د ط، 1984، ص114.
9. بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، بغداد، العراق، ط1، 2012.
10. بن الدين بخولة، النص بين قصدية المؤلف وانطولوجية الفهم ،مجلة دراسات،المركز الجامعي أفلو،الجزائر، المجلد 9، العدد 2، 2020.
11. بن زحاف يوسف ،مفهوم القصدية في اللسانيات التداولية، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز الجامعي احمد زبانه، غيلزان الجزائر، العدد12، المجلد3، 2020.
12. جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط5، 1995، ص236.

قائمة المصادر والمراجع:

13. جهاد شاهر المجالي، دراسات في الإبداع الفني في الشعر: رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الأدبي والنقد الحديث، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.
14. جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016.
15. جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010.
16. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د ط ، د ت .
17. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1993.
18. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط2، 2004.
19. عكاشة محمود، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2012.
20. علي أيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
21. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.
22. فاطمة عبد الله الوهبي، نظرية المعنى عند حازم القرطاجني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2002.
23. فان ديك النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، لبنان، د ط، 2000.
24. 21. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012.
25. محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، مطبعة النجاح الجديدة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1982.
26. محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1984، ص41.
27. محمد يحياتن، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر، د ط، د ت .

قائمة المصادر والمراجع:

28. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 2002.
29. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
30. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د ط، 2003.
31. يوسف تعزوي، نماذج تداولية، مكتبة العمران، المغرب، د ط، 2017.
32. يوسف سليم سلامة، الفينومينولوجيا المنطق عند إدموند هوسلر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 2007.
- 3-المجلات :**
33. أحمد إحميدات، نظرية فيرث السياقية بين الأصالة والتجديد، مجلة الضاد، جامعة ملابيا، د ع، 2015.
34. احميدة مداني، أهمية السياق في كشف المعنى وعلاقته بضبط القاعدة النحوية، مجلة دراسات معاصرة، جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر، المجلد 07، العدد 01، 2023.
35. إيمان عطية شعبان، الاستلزام الحوارية بين الرؤية الغربية الحديثة ورؤية التراث العربي، مجلة بحوث كلية الآداب، المجلد 32، العدد 1، 2021.
36. بوشعيب شداق، مقصدية العمل الأدبي: بين التقييد والانفتاح، مجلة علامات في النقد، العدد: 54، 2004.
37. بوقرومة حكيمة، التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة والسمياء، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد 10، 2011.
38. دحمان بونونة عويشة، التداخل المعرفي بين التداولية واللسانيات الاجتماعية، مجلة بدايات، جامعة الشهيد أحمد زبانه، غليزان، الجزائر، المجلد 4، العدد 2، 2022.
39. ربوار عبد الله خطاب، مبادئ الاستلزام الحوارية في رواية هروب نحو القمة لـ أحمد الزاويتي على ضوء قواعد غرايس، مجلة كلية المعارف الجامعة، جامعة سوران، كردستان، العراق، المجلد 33، العدد 3، 2022.
40. ريمة كعبش، نظرية الاستلزام الحوارية (المفهوم والمبادئ) مجلة الخليل في علوم اللسان، جامعة العربي بن مهدي، أم البواقي، الجزائر، المجلد 1، العدد 1، 2021.

قائمة المصادر والمراجع:

41. سامية محمول، الاستلزام الحوارى فى القرآن الكرىم آيات من سورة مريم أنموذجًا، مجلة اللغة العربىة وآدابها، بوزرىة الجزائر، ديسمبر 2017.
42. الطىب الغزالى قواوة، الانسجام النصى وأدواته، مجلة المخبىر، المركز الجامعى الوادى، الجزائر، العدد 08، 2012.
43. عبد الحكىم سحالىة، تقاطع اللسانىات التداولىة والدرس اللغوى العربى القدىم، مجلة علوم اللغة العربىة وآدابها، جامعة الشاذلى بن جدىد، الطارف، الجزائر، المجلد 15، العدد 1.
44. عبد العزىز بن عبد الله الخراشى، مادة المعنى فى نقد الأدب عند العرب، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، مصر، دم، د ع، 2019.
45. عبد العزىز مصباحى، التداولىة؛ مفاهىمها جذورها الفلسفىة واللسانىة مجلة علوم اللغة العربىة وآدابها المجلد 13، العدد 01، 2021.
46. عرفات فىصل المناع، حجاجىة النص الشعرى العربى القدىم معلقة الحارث بن حلزة الىشرى مثلاً، مجلة دراساات البصرة، العدد 21، 2016.
47. علجىة أىت بوجمعة، التداولىة دراسة فى المجالاات والفروع، مجلة الممارساات اللغوىة، العدد 37، 2016.
48. مباركى عبد العزىز، القصدىة كأساس لبناء المعرفة الفىنومىنولوجىة، مجلة لوغوس، مخبىر الفىنومىنولوجىا وتطبىقاتها، جامعة تلمسان، الجزائر، العدد 10، 2020.
49. وسام مزروقى، القصدىة وأثرها فى توجىه الخطاب الشعرى، مجلة إشكالىاات فى اللغة والأدب، جامعة ابن خلدون، تىارت، الجزائر، مجلد 8، عدد 1، 2019.
50. وشن دلال، القصدىة من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانىة والاجتماعىة، جامعة محمد خىضر، بسكرة، الجزائر، العدد 6، 2010.
51. يسمنىة عبد السلام، نظرىة الأفعال الكلامىة فى ظل دراسة أوستن، مجلة المخبىر أبحاث فى اللغة والأدب الجزائرى، جامعة بسكرة الجزائر، العدد 10، 2014.
- 4-الرسائل الماجسرىة والدكتوراه:
52. ردة الله بن ردة بن ضىف الله الطلحى، دلالة السىاق، رسالة مقدمة لنىل درجة الدكتوراه فى علم اللغة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربىة، قسم الدراساات العلىا فرع اللغة، المملكة العربىة، 1997/ 1998.

قائمة المصادر والمراجع:

53. عزيز عز الدين، ظاهرة الاستلزام الحوارية في التراث اللغوي العربي والدرس اللساني الحديث دراسة (تأصيلية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص لسانيات واللغة العربية، جامعة باتنة 1 (الحاج لخضر)، الجزائر، 2020/2021.
54. عيسى بربار، البعد التداولي في العملية التواصلية "شعر الأمير عبد القادر الجزائري أنموذجاً رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم تخصص لسانيات، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2016/2015.
55. محمد أديوان، قضايا النقد عند حازم القرطاجني، أطروحة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 2004.

الفهرس

إهداء

أ	مقدمة:
4	الفصل الأول: النظرية اللسانية التداولية
4	المبحث الأول: التداولية (المفهوم والنشأة)
4	1- مفهوم التداولية:
6	2- نشأة التداولية:
12	3- علاقة التداولية بالحقول المعرفية الأخرى:
16	المبحث الثاني: مفاهيم التداولية
16	1- القصدية:
21	2- السياق:
24	3- الأفعال الكلامية:
26	4- الاستلزام الحوارى:
32	الفصل الثاني: ملامح التداولية في المنهاج
32	المبحث الأول: عناصر التخاطب
43	المبحث الثاني: أغراض التخاطب
48	المبحث الثالث: الخطاب وسياق الموقف:
51	المبحث الرابع: المعاني الشعرية والمعاني الخطابية
57	خاتمة:
59	قائمة المصادر والمراجع: